

# قافلة الزيت

ربيع الثاني ١٣٩٤هـ - إبريل/مايو ١٩٧٤م







انوار الرشیدی اور رشیدیوں کا انوار  
انوار رشیدی اور رشیدیوں کا انوار  
انوار رشیدی اور رشیدیوں کا انوار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# قافلة الزيت

العدد الرابع المجلد الثاني والعشرون

محتويات العدد

## بحوث أدبية

- سيادة العرب البحرية في البحر المتوسط... د. عبد الرحمن زكي ٣  
سراقات غير أدبية ..... د. بدوي طبانة ٦  
«الفهرست» لابن النديم (من حصاد الكتب) ... سليم واكيم ١٦  
«ستين» الصغير ، (قصة) ..... فاضل السباعي ٣١  
أخبار الكتب ..... ٤١  
حطام قبارة ، (قصيدة) ..... طاهر زمخشري ٤٢  
عبء البيان ، (قصيدة) ..... الياس قنصل ٤٩

## بحوث علمية

- دور الجامعة السعودية في التنمية الصناعية  
والاقتصادية (ندوة القوى العاملة) (٣) ..... ٩  
عقاقير من أعماق البحار ..... زكريا خليل البنا ٣٥

## استطلاعات مصورة

- القهوة عنوان الضيافة العربية ..... سليمان نصر الله ١٩  
البحث عن الزيت في المناطق المغمورة ..... ابراهيم الشنطي ٢٥  
جامع الزيتونة في تونس ..... د. نقولا زيادة ٤٣

## التراجم على صورة الغلاف

منظر عام لمعمل فرز الغاز من الزيت التابع  
لحقل السفانية المغمور في مياه الخليج العربي  
بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .  
راجع مقال : « البحث عن  
الزيت في المناطق المغمورة »  
تصوير : سعيد الغامدي

تصدر شهرا عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها  
ادارة العلاقات العامة - توزيع مجانا

العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام : فيصل محمد البسام  
المدير المسؤول : عبد الله صالح جمعة  
رئيس التحرير : منصور مدني  
المحرر المساعد : عويضة أبو كشك



- كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن إجاباتها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كصدر.
- لا تتبل القافلة إلا المواضيع التي لا يسبق نشرها، وهي تؤثر على التنمية الاقتصادية، وهي تهم المجتمع، وتهم البيئة.
- يتم تسويق المواضيع في كل عدد وفقاً للمقتضيات الفنية لا تتعلق بمكانة الكاتب وأهمية الموضوع.
- تتنوع المقالات على النحو الذي تظهر فيه بحرية عادة وفق ظروف يفضيها نهج « القافلة »



# سَيَادَةُ الْعَرَبِ الْبَحْرِيَّةِ فِي الْجَزْرِ الْمُتَوَسِّطِ مَالِطَةُ الْعَرَبِيَّةِ



بقلم: الدكتور عبد الرحمن زكي

بعد ان مرت فترة هدوء نسبياً في شرق البحر المتوسط . فقد بدأت دولة بني الأغلب (الأغالبة) تسيطر على الجزء الأوسط من البحر ، ونهض الأغالبة عام ٨٥٨ ميلادية بهجوم بري وبحري على « سيفالو » على الشاطئ الشمالي ، واستولوا على « بلرمو » في صقلية ، ثم هزموا اسطولا بيزنطياً مؤلفاً من اربعين سفينة عند ساحل « ايوليا » (٤) .

اذهلت تلك الحسائر حكومة بيزنطة ودفعتها الى بذل جهد بحري آخر لمحو آثار تلك الهزيمة ، فدفعت بأسطول عظيم مؤلف من ٣٠٠ سفينة من موانئها الشرقية الى «سيراكوزة» ، واجتازت سقنه مضيق « مسينا » للاستيلاء على « سيفالو » ، وهتاك عند الساحل الشمالي لصقلية لاقت اسطول المسلمين ، ونشبت معركة بحرية بين الطرفين كانت مروعة ، انتصر فيها الاسطول العربي وفقد البيزنطيون قرابة مائة سفينة ، وكانت تلك أفدح هزيمة مني بها البيزنطيون منذ سنة ٨٤٠ ميلادية (٥) .

اهتزت في أثر تلك اللطمة سيادة بيزنطة على صقلية ، وسقطت « كاسترو وجيوفاني » في قبضة العرب سنة ٨٥٩ ميلادية (٦) ، ثم سرعان ما اصبح ثلثا ارض صقلية في ايدي العرب لا ينازعهم احد . وبعد ثماني سنوات عزم المسلمون على تمام الفتح الصقلي ، وارسل حاكم « بلرمو » جيشاً وبعض السفن ضد « سيراكوزة » ، فهب اسطول بيزنطي من الشرق ، وتمكن من اقضاء المسلمين عنها سنة ٨٦٨ ميلادية (٧) .

من المسلمين . . ويمكن القول بأن مدة بقاء العرب في مالطة كانت قرابة ٢٢٠ سنة .

**قد** ادرك العرب اهمية موقع مالطة ، التي تشعب منه بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ولأن موانئها آمنة ومتسعة .

هذا وكان يسيطر على الملاحة في البحر المتوسط في اواخر القرن الثامن واول القرن التاسع الميلاديين دولتان عظيمتان ، هما بيزنطية في حوضه الشرقي ، واسبانيا المسلمة في غربه ، ولم تكن سفن الدولة الأولى تعترض ملاحه سفن الاخرى في سيرها من الغرب الى الشرق او على العكس . ويؤيد ذلك اولاً : ما كانت عليه علاقة اليهود « الرضائية » بأعمال التجارة (٢) في « مارسيليا » عن طريق اسبانيا مع تجار مصر والشرق الاسلامي . وثانياً : رحيل جماعة كبيرة من المسلمين الذين ابعدهم حكومة قرطبة في الأندلس ، ووصلهم الى الاسكندرية دون تدخل السفن البيزنطية او اعتراض سفنها (٣) .

ومع استمرار حسن العلاقة بين الدولتين كانت تقع حوادث اعتداء بين السفن في البحر المتوسط ، ولذلك كانت تتبع الطرق القريبة من السواحل او اجتناب البحر والسفر في قلب الصحراء ، وكان من العسير او المستحيل ان تغلق بيزنطية عن طريق قواعد الجزيرة في كريت وصقلية وقبرص ومالطة وقوصرة « بانتيلاريا » طرق التجارة البحرية تماماً أمام سفن المسلمين بين الشرق والغرب .

وعندما انتصف القرن التاسع بدأت تتحول الكفة تدريجياً الى مصلحة المسلمين ، وذلك

في جزيرة « مالطة » في البحر المتوسط بين جزيرة صقلية

وجمهورية تونس ، وهي اليوم دولة ذات نظام ديموقراطي في الكومنولث البريطاني ، ومن بلدان منظمة الأمم المتحدة . تقدر مساحتها بقرابة ٣١٦ كيلومتراً مربعاً مع جزيرتي « جوزو » ( قودس ) و « كومينو » ( الكمون ) ، وجزيرتي « كومينيتو » و « فلفولة » الصغيرتين (١) . ويبلغ عدد سكانها جميعاً قرابة نصف مليون . هذا الأرخبيل المؤلف من تلك الجزر يبعد حوالي ٣١٦ كيلومتراً عن تونس ، و ٣٦٠ كيلومتراً عن طرابلس . وتمتزج الدماء النورمانية والاسبانية والايطالية والعربية في شعب مالطة ويتبع المالطيون الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . و « فاليتا » هي عاصمة مالطة ، ومن اكبر مدن مالطة « سليمة » . واللغتان السائدتان في مالطة هما المالطية والانكليزية . وكان يتولى حكم الدولة الى عهد قريب « سيرموريس دورمان » البريطاني ثم حل مكانه « سيرانتوني مامو » ، وهو مالطي ، ويرأس « دوم منتوف » الحكومة وهو زعيم حزب العمال . وقد قام « دوم منتوف » بزيارة رسمية للمملكة العربية السعودية في مطلع العام الحالي ١٣٩٤ هـ .

## مَالِطَةُ وَالتَّارِيخُ الْوَسِيطُ

حاول العرب غزو مالطة مراراً فلم يفلحوا حتى تم لهم الفوز اخيراً على البيزنطيين عام ٨٧٠/٨٦٩ ميلادية . وظلت في ايديهم حتى سنة ١٠٩٠ ميلادية حينما انتزعها «كونت روجر» النورماني بعد استيلائه على جزيرة صقلية



وحينما أصبح للعرب السيادة على معظم انحاء صقلية وأمنوا نسبياً خطوط مواصلاتهم البحرية في البحر المتوسط او على الأقل بين صقلية وأفريقية ، عزموا على الاستيلاء على مالطة وقودس ، وغزا الأغالبه مالطة ، وضمنوا الاشراف التام على اجزاء المضيق البحري بين شاطيء افريقية « تونس » و « سيراكوزة » ، وكان ذلك قرابة سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) (٨).

## عَامُ فَتْحِ مَالِطَةِ

تضاربت أقوال المؤرخين حول تاريخ فتح مالطة ، فقد ذكر واحد منهم واسمه « ابيلا Abela » ان غزو العرب لمالطة كان عام ٨٢٨ م ، وجاء في موسوعة « كامبردج » التاريخية انه كان في عام ٨٧٠ م ، وفي موسوعة « اماري » الصقلية العربية انه تم اثناء حكم « باسيل » الأول ، امبراطور بيزنطة . والمعروف ان هذا الامبراطور جلس على العرش عام ٨٦٦ م ، ومات عام ٨٨٦ م . ويغلب الظن ان سبب الاختلاف حول تاريخ الفتح الى تلك المحاولات العربية الكثيرة لغزو الجزيرة . تلك المحاولات المتعاقبة التي انتهت احداها بالفتح الحقيقي المستقر . ومن بين الآراء المختلفة عن الفتح العربي لمالطة ما يعزى الى « فنست بونايتا » القاضي المالطي ، وسنذكر هذا الرأي كاملاً :  
 • في ١٠ يولييه سنة ٨٣٣ م حاول العرب في غزوتهم الأولى لمالطة النزول برجالهم في مرفأ « بولص » ، وكان اسطولهم الذي غادر صقلية يقدر بخمسين سفينة تحمل كل منها قرابة مائة مقاتل ، فقاومهم اهالي الجزيرة وردوهم في اتجاه جزيرة « قودس » ، وبقوا في تلك الجزيرة ٢٥ يوماً حتى تمكن الأهالي من التغلب عليهم وأجبروهم على الانسحاب الى صقلية .  
 • وفي عام ٨٣٦ م ، قام العرب بمحاولة ثانية ، فأعدوا اسطولاً يتألف من ستين سفينة تحمل قرابة ستة آلاف من المجاهدين ، وهاجموا « قودس » أولاً ، وتغلبوا على

رجال حاميتها اليونانية وافنؤهم ، ولم يمسوا اهلها بسوء ، ومنح هؤلاء الطعام للغزاة ، وقدموا مائة قطعة من الذهب لقائد الحملة ، ثم لقوا مقاومة شديدة من قوات الامبراطور « ثيوفيل » .

• وفي ١٢ أغسطس ٨٧٠ م ، استولى العرب بقيادة احمد بن عمر بن عبيد الله الأغلب على مالطة وكانت تحميها حامية يونانية قوامها ثلاثة آلاف من الجنود افنؤوا عن آخرهم ومعهم عدد يذكر من اهالي الجزيرة . يتضح من بحث هذا القاضي المؤرخ ان العرب وجهوا ثلاث حملات ضد مالطة :  
 الحملة الأولى عام ٨٣٣ م في عهد الامبراطور « ثيوفيل » ، والحملة الثانية عام ٨٣٦ م ، والحملة الثالثة عام ٨٧٠ م في عهد الامبراطور « باسيل الأول » ، وهي الحملة الختامية التي كان من نتائجها استقرار حكم العرب مدة طويلة في مالطة . ولا بد ان كانت الجزيرتان « مالطة » و « قودس » ( جوزو ) آهلتين بالسكان عندما حاول العرب غزوهما في عام ٨٣٣ م . لأنه من الواضح انه لا يستطيع مقاومة اسطول مؤلف من خمسة آلاف مقاتل وانتزاع النصر منه الا عدد اكبر نسبياً ، وهذا على عكس ما ورد في بعض المراجع التي ذكرت ان مالطة وقودس كانتا لا تأويان الا بضعة مئات من الأهالي .

**في** الحملة الثانية استولى العرب على قودس دون مقاومة تذكر ، وأفنؤا جميع اليونانيين الذين لا قوهم ولم يلحقوا ضرراً بالأهالي ، وقدم هؤلاء للغزاة المأكل والمشرب ، والمال أيضاً ، واخيراً وصل من « سيراكوزة » ( بصقلية ) جماعات من المحاربين اليونانيين تحت قيادة « ماركانو » قائد الامبراطور « ثيوفيل » وتغلب هؤلاء على العرب وأخرجوهم .  
 اما في الحملة الثالثة فقد استولى العرب اولاً على « قودس » ثم على « مالطة » ، ونزلوا في مرفأ « بولص » ولم تأت المحاولات لصدهم بأية نتيجة ، فسرعان ما وصل الفاتحون الى قلب مالطة ، وعسكر رجالهم في بقعة من مدينة « نوتابيلي » -

في وسط الجزيرة في ارفع موضع منها - ولما حاول الفاتحون الاستيلاء على تلك المدينة جميعها ردهم الأهالي مراراً حتى اضطروا الى التسليم ، ووقع اسقف الجزيرة اسيراً ، ولم يعين احد في مكانه اثناء الحكم العربي .

ولم يصل اليها الكثير عن نظام الحكم الذي اقامه العرب في « مالطة » او « قودس » وان كان من المؤكد انهما كانتا تحت حكم امير مسلم نائب عن امير صقلية ، ومن المعروف انه سمح للنصارى الذين بقوا في الجزيرتين باقامة شعائرهم الدينية بحرية تامة ، ولم تفرض الضرائب الفادحة على الأهالي . وكانت العربية الفصحى رائجة الى جانب اللهجة المحلية حتى لقد نبغ بمالطة شعراء ، نخص بالذكر منهم ابا القاسم عبد الرحمن بن رمضان من القرن الخامس الهجري ، وابا محمد عبدالله السمنطي معاصراً لزميله (٩) . وانتشر الفن المعماري العربي بمالطة ونرى بقايا منه في القصر الكبير الذي هو قلعة المدينة وقصبتها والمسعى بقصر « سانتجلو » ، فضلاً عن ان التنقيب عن الآثار الذي اجري كشف عن مقبرة عربية فيها شواهد نقش عليها عبارات بالخط الكوفي المزهر . وعثر في مالطة ايضاً على مجموعات من النقود الأغلبية والفاطمية والصنهاجية ، مما يدل على استمرار المعاملات والعلاقات التجارية طوال العصر العربي بالجزيرة ، وهي محفوظة في متحف « مالطة » الوطني (١٠) .

ولا يمكن فصل تاريخ الارخبيل المالطي عن الأحداث التي مرت بجزر البحر المتوسط والدول العربية التي نهضت على ساحله الجنوبي . ويمكن ايجاز احوال تلك الجزر التي في شرقي البحر المتوسط فيما يأتي :

• قبرص : تنازعها الأمويون والبيزنطيون حتى عام ٧٥٠ م ، ثم نازعهم العباسيون بعد عام ٧٥٠ م ، وتنازعها البيزنطيون حتى عام ٨٧٤ م ، ثم استردها البيزنطيون وظلت بأيديهم فيما بين عامي ٨٧٤ - ٨٧٦ م ، وما لبث ان اغار عليها المسلمون مراراً .

(١) مساحة مالطة وحدها ٢٣٧ كيلومتراً مربعاً وتبعد مالطة عن جزيرة قودس ستين كيلومتراً . (٢) يمثل هؤلاء اليهود مجموعة من المحايدين الدوليين كانوا يقومون بالتجارة بين الكارولنجيين ، والأمويين والأندلسيين وسكان شمال أفريقيا ، والشرق الأوسط ، كذلك البيزنطيون . ولم تكن بيزنطية تسمح بالتجارة في الرقيق . أنظر كتاب « المسالك والممالك » لابن خردادبة . نشر دي خويه ص ١١٤ - ١١٦ ، وقد تكتب الردانية عن الفارسية راه - دان . (٣) وصلت هذه الجماعة الأندلسية الى الاسكندرية قرابة عام ٨١٥ م يقودهم أبو حفص عمر بن عيسى ، وكان عددهم يقرب من ١٥٠٠٠ رجل عدا النساء والأطفال . أنظر الكندي : القضاة والولاة ، ص ١٥٧ . (٤) ابن الأثير ج ٧ ص ٤١ - ٤٢ . (٥) ابن الأثير ج ٧ ص ٤٢ ، وتاريخ صقلية ج ٢ ص ١٨٢ . (٦) ابن الأثير ج ٧ ص ٩٧ . (٧) تاريخ ابن خلدون ص ١٢٥ . (٨) ابن الأثير ج ١ ص ٢٤ . (٩) عثمان الكماك : الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، ص ١٦ . (١٠) Joseph Gath Rutter : Illustrated guide to Malta and gozo : Malta .



منهم الطولونيون حتى عام ٩٠٥ م ، ثم العباسيون بين عامي ٩٠٥ و ٩٦٤ م .

- رودس : أغار عليها العرب عام ٦٥٤ م واحتلوها من عام ٦٧٢ م حتى ٦٧٩ م ، ثم استردها الروم ، وتمكن الأمويون من احتلالها حول سنة ٧١٨ م لفترة قصيرة .
- كريت ( اكريطس ) : حكمها الأمويون في الشام زمناً قصيراً عام ٦٧٤ م ، وغزاها في عام ٨٢٥ م عمر بن عيسى على رأس مهاجري الأندلس بعدما ثار ضدهم أهل الاسكندرية وطردوهم منها ، وقد ظلت تحت حكم أمراء المسلمين من أهلها الى عام ٩٦١ م حينما استردها اباطرة البيزنطيين .
- مالطة : استمرت تحت حكم الأغالية حتى سنة ٩٠٩ م ، ثم تحت سيادة الفاطميين حتى عام ١٠٩٠ م حينما استولى عليها النورمان ، وكذلك جزيرة قوصرة ( بانتلاريا ) .
- قور شقة : أغار عليها المسلمون حوالي عام ٧٧٤ م ولكنها استمرت في حكم الافرنج وقد نازعهم اياها قرصان الأغالية بعد عام ٨٠٩ م ، ودام التنافس عليها بين الجانيين حتى عام ٩٠٩ م ، ثم الفاطميون من عام ٩٠٩ - ٩٣٠ م .
- سردينية : أغار عليها العرب في اخريات القرن الثامن وهي تحت حكم الافرنج ، واستمر بنو الأغلب يهاجمونها بعد عام ٨٠٩ م ، واستولوا على بعض الأجزاء الساحلية حتى عام ٩٠٩ م ، وحاول الفاطميون بعد ذلك ان يضموها الى ملكهم .
- جزائر البليار : أغار عليها عبدالله بن موسى حوالي عام ٧٠٨ م ولكنها ظلت تابعة للافرنج الى عام ٧٩٨ م عندما غزا أمويو الأندلس يابسة ( افيزة ) في العام المذكور ، ثم انتقلت الى حكمهم طوال القرن التاسع الميلادي . اما جزائر « ميورقة » و « منورقة » فبالرغم من مهاجمة المسلمين لها بقيت فرنجية . واثناء القرن العاشر ، فتح عصام الخواني الجزيرتين ، وكان ذلك في عام ٩٠٣ م ، وخضعت الجزر الثلاث لأمويي الأندلس حتى عام ١٠٢٢ م حينما انتقل امرها الى ايدي أهلها من المسلمين . ويمكن القول بأن البحر المتوسط بقي بحيرة عربية مدة لا تقل عن ثلاثمائة سنة ، ومع ذلك استمر العرب محلاً في نزاع متواصل لا يكاد ينقطع ضد البيزنطيين والفرنج في تلك الجزر . وقد وجه البيزنطيون هجوماً ضد « مالطة »

بأه بالفضل ، فاضطرت ييزنطة الى استدعاء قائدها ، وكان ذلك عام ١٠٤٠ م .

**عصر** جاء النورمانديون وهم في اوج نشاطهم ، فحالفهم النصر تدريجاً ، واخذوا في استرداد مدن صقلية ، الواحدة بعد الأخرى حتى تم لروجر النورماني عام ١٠٩٠ م فتح صقلية جميعها بعد جهود استمرت سنين ، واخذوا في دعم مراكزهم في تلك الجزيرة استعداداً للانتصارات المقبلة .

اتضح للنورمان أهمية موقع مالطة ، فبوساطتها يمكنهم قطع المواصلات بين الدولتين العربيتين في الشرق ، الفاطميين في مصر والشام ، ودولة المرابطين في الأندلس وشمال إفريقيا . ففي عام ١٠٩٠ م اتجه النورمان الى مالطة ، وكانت مراكزهم الحصينة قد اصيبت بالضعف نتيجة للحملات العنيفة التي وجهت ضد مدينة المهديّة منذ عام ١٠٨٧ م . وقد سقطت مالطة في قبضتهم بعد سيادة العرب عليها قرابة ٢٢٠ سنة ، شيدوا خلالها قلعة « انجلو » عام ٩٧٣ م .

وحينما سقطت مالطة كسبت أوروبا الغربية الاشراف على المضائق الرئيسية بين افريقية وصقلية فضلاً عن جزيرة صقلية نفسها .

ألقى النورمان مالطة بصقلية وظلت بأيديهم حتى عام ١٥٣٠ م حينما استولى عليها فرسان « يوحنا » ثم تسلمها منهم نابليون عام ١٧٩٨ م خلال حملته على مصر .

لقد اجلي المسلمون عن مالطة في النصف الأول من القرن الثالث عشر على عهد الحفصيين ، اجلاهم ملك صقلية « فردريك » الثاني سنة ١٢٢٤ م ، وذكر ابن خلدون أنها سنة ١٢٤٥ م . وانتقل المسلمون المالطيون الى تونس لا سيما الى سوسة وقلية وغار الملح .

وفي عام ١١٢٢ م دبر المسلمون امراً للاستيلاء على الأرخبيل بيد ان الامر اكتشف وقبض على مدبرية وحكم عليهم بالقتل بعد ان استدعيت على عجل قوات من « مسينا » بصقلية .

## مَا فَادَتْهُ مَالِطَةُ مِنَ الْعُرْبَةِ

ظل السكان المسلمون في اثناء السيادة العربية على مالطة اوفر عدداً من السكان المسيحيين ، وكانت غالبيتهم من تونس او جزيرة « جربة » . وهناك احصائية لسكان ارخبيل مالطة في عام ١٢٤٠ م اي بعد قرابة ١٥٠ سنة من فتح النورمان توضح انه كان بالارخبيل ٦٧١ امرأة مسلمة و ٢٥٠ أسرة مسيحية و ٣٣ أسرة يهودية ، وهكذا نرى انه

حتى بعد الاسترداد النورماني ، ظل المسلمون يعيشون مع المسيحيين جنباً الى جنب في أمن وطمأنينة على قدر ما سمح به التعايش حينذاك . ومن ناحية الأثر العربي في مالطة ، فلم يبق كثير من مخلفات العرب . ونشاهد الى اليوم في الجزيرة بعض اسس الأسوار القديمة لقلعة « انجلو » التي شيدها العرب دفاعاً عن المرفأ الكبير وبعض اقسام المدينة القديمة « شيتا فيكيا » وعشرات من النقوش الكتابية على شواهد المقابر الاسلامية في رباط وبعض قطع العملة العربية كما ذكرنا .

اما اهم ما خلفه العرب في مالطة وطبع أهلها « بالعربية » فيتضح في اللغة والعادات والتقاليد واسماء كثيرة من الأماكن والبقاع . وتكفينا نظرة عابرة الى خريطة جزر الأرخبيل المالطية لتتعرف الى عربية اسماء الأماكن ، والأمثلة كثيرة منها غار ( Ghar ) ، ووادي ( Uyed ) ، وعين ( Ayn ) ، وجبل ( Gebel ) ، وغدير ( Ghadir ) . ان لغة مالطة عربية لا شبهة فيها ، وقد ثبتت العربية في مالطة بالرغم من انقراضها من صقلية وسردينية واسبانيا ومعظم البلدان التي احتلها العرب من أوروبا ، لأن اصل تلك الجزر والبلدان لاتيني ، فلما تقلص ظل العرب عنها رجعت اليها لغتها الأصلية ، وانقرضت العربية منها . فأما مالطة ، فلغتها الأصلية لم تكن لاتينية ، بل كانت الفينيقية وهي اخت العربية ، فلما جاءتهم العربية بعد ان فتح العرب مالطة ، كانت كأنها نزلت في وطنها ، فثبتت فيها حتى بعد خروج العرب منها .

ومن أشهر علماء مالطة العرب : عثمان ابن عبد الرحمن المالطي المعروف بابن السوسي ، وهو من رجال القرن الخامس الهجري . ولد في مالطة وبها تهذب وقرأ على ابيه الأدب ثم سكن « بلرم » ( بصقلية ) واتخذها داراً ، وذف على السبعين وله شعر صحيح المعنى . ووصلنا اسم ابو بكر محمد بن علي بن الجبار الكموني ( نسبة الى جزيرة كيون ) وله شعر لطيف . وكذلك عبدالله بن السمطلي ( ويحتمل السمطي ) . لقد ألف أحمد فارس الشدياق في القرن التاسع عشر كتابه الفريد « الواسطة في معرفة احوال مالطة » تناول فيه اشياء كثيرة ولطيفة عن الجزيرة ، بيد انه لم يمدنا فيه بشيء من التراث العربي المجيد في مالطة ■

عبد الرحمن زكي - القاهرة



# سِرْقَاتٌ .. خَيْرُ الْأَبْسَامِ

## بقلم: الدكتور بدوي طبانة

وهكذا أعظم الأقدمون السطو على آثار الأدباء ونتاج العباقرة وعدوا ذلك أفدح من جريمة السطو على المال والمتاع .

...

الظواهر المثيرة في حياتنا العلمية والأدبية ما تنشره بعض الصحف والمجلات العربية من أحاديث يكشف فيها كاتبوها عن بعض ما وقفوا عليه من اغارات المعاصرين على شيء من التاج الفكري أو الفني الذي عرفوا أصحابه الاصلاح من المفكرين والأدباء ، وكثيرا ما يؤيدون حججهم في ثبوت الاغارة أو السرقة بالمقابلة بين النصوص في الأصول المسروقة وفيما ادعاه السراق ، ونسبوه الى علمهم الواسع ، أو فنههم المستطرف .

بل ان من هؤلاء الذين يحرصون على ثبوت السرقة من يذهبون في سبل دعواهم وتأييدهم بالبينة ، الى تصوير صفحات كاملة من المسروق ومن أصله ، حتى يقارن القارئ ما بينهما ، فلا يحتاج بعد ذلك في ثبوت السرقة الى بينة أو دليل يحتاج الى كد الأذهان في اقتناعه به .

وقد برزت هذه الظاهرة الخطيرة في السنوات الأخيرة ، وفي هذه الأيام بالذات الى درجة تلفت النظر وتقتضي التفكير في أسبابها ، ووسائل علاجها ، حتى أصبحت حديث الخاصة من أهل العلوم والفنون ، وربما تجاوزتهم الى عامة القراء ، ففرست في نفوسهم بذور الشك والارتباك في اصالة كثيرين ممن كانوا يكبرونهم ، ويعدونهم من العلماء والمفكرين ، أو الأدباء النابهين ، أو النقاد الذين كانوا يشهدون لهم بصحة النظر ، أو التجديد في الاتجاهات الفنية أو الأعمال الأدبية التي احتلوا بها منازل رفيعة من نفوسهم .

واذا كنا نسلم بقول القاضي الجرجاني في السرقة بأنها داء قديم ، وعيب عتيق ، والتماسه العذر للشعراء من أهل عصره ومن بعدهم بأن المتقدمين قد استغرقوا المعاني ، وسبقوا إليها ، وأتوا على معظمها ، ولم يتركوا منها الا بقايا تركوها رغبة عنها ، واستهانة بها ، أو لبعدها مطلبها ، واعتياض مرامها ، وتعذر الوصول إليها — فقد كان الجرجاني قاضيا صناعته العدل بين الناس ، والفصل في خصوماتهم ، ورد الحقوق الى أربابها . ولذلك التمس العلل والمعاذير عندما عرض لهذا الموضوع الذي يقتضي التثبت واليقين ، وقياس الأشباه والنظائر قبل القطع واليقين ، ورأى أن الشاعر ما زال يستعين بخاطر الآخر ، ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه .

ولهذا السبب تراه يتخرج في الحكم بالسرقة ، بل هو يحظر على نفسه ، ولا يرى لغيره بت الحكم على شاعر بالسرقة الا اذا رأى العين تمام التطابق في المعاني والصور والألفاظ ، ويقول أنه متى أجهد أحدنا نفسه ، وأعمل فكره ، وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ونظم بيتا يحسبه فردا مخترعا ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه ، أو يجد له مثالا يغض من حسنه !

هناك فرق بين أن يدس لص من اللصوص يده في جيبك ، فيستل منه حافظة نقودك ، أو يسطو على دارك ، فيسلبك أعز ما تملك من مال ومتاع ، وبين أن يغير امرؤ على أغلى ما تحرص عليه من ثمرات ذكائك وجهدك التي أذبلت فيها زهرة شبابك ، وأرقت فيها عصارة حياتك ، وأذبت فيها نور عينيك ، وكان لك بها شأن في العالمين ؟

ان لصوص الجيوب وسراق البيوت قد يستحون من الناس ، فيجهدون في تحين الفرصة وانتهاز الغفلة ، متوارين عن الأنظار في هدأة من الليل ، وفي مأمن من الرقباء ، ثم لا ينتفعون بأسلابهم الا بعد حين ، اذا اطمأنوا بما سلبوا ، وظنوا أنهم بمنجاة من العقاب ، وما أسرع أن يستدل عليهم ، ويستنقذ منهم ما سطوا عليه ، ثم يساقون الى حيث يلقون الخزي جزاء بما كسبوا .

ولكن عالم الفكر والفن عالم آخر يختلف كثيرا عن عالم المادة ، اذ هو يمثل عالم الطهر والصفاء ، ويمتاز بتحليق أصحابه في آفاق بعيدة ، والهبوط بثمرات ذلك التحليق الى دنيا الناس ليشاركوهم فيما أفادوا من رحلات الفكر في عالم السمو الذي تقصر عن بلوغه عقول العامة . وتلك الثمرات التي يقطفها المفكرون وأرباب الفنون قد تتباين صورها ، وتختلف أشكالها ، ولكنها مع ذلك الثباين والاختلاف متقاربة الغايات والأهداف في اتلافها جميعا لخير الانسانية والسمو بالمدارك والعواطف ، والسير بالانسانية في طريق الحياة السعيدة الكريمة ، وغير ذلك من الغايات الشريفة التي يجبس المفكرون نفوسهم في سبيلها ، ولا يجروا على اقتحام صومعاتهم أو تعكير صفوهم الا لصوص الأفكار .

ولذلك كان لصوص الأفكار أشد ضراوة من سراق الجيوب والبيوت ، لأنهم يسرقون في وضوح النهار ثم يدعون لأنفسهم ما سرقوا من بنات الأفكار وخلاصة التأملات وثمرات العبقرية ، ثم ينشرون ذلك في الناس استخفافا بهم ، وغرورا بغفلتهم . ثم يكبرهم بذلك الذين لا يعرفون مصادرهم ومواردهم ، ويحفظون بما أملوا من الصيت الزائف والكسب المحرم ، ولذلك قال الحريري في إحدى مقاماته : « واستراق الشعر عند الشعراء ، أفظع من سرقة البيضاء والصفراء ، وغيرتهم على بنات الأفكار ، كغيرتهم على البنات الأبقار »

وكان السري يتهم الشاعرين المجيدين بالاغارة على شعره ، وعلى شعر غيره من الفحول السابقين ، فقال في وصفهما من أبيات يحذر فيها من سطوهما :

شنا على الآداب أقبح غارة جرحت قلوب محاسن الآداب  
فحذار من نفثات صلي قفرة وحذار من فتكات ليثي غاب  
لا يسلبان احبا الثراء وانما يتناهبان نساءن الاباب



وأيا ما كان حظ هذا الكلام من الصواب فقد كان ما استشهد به مما أورده تأييدا لوجهة نظره لا يعدو البيت أو الأبيات القليلة من الشعر التي تتشابه في أفكارها أو تتقارب في معانيها . وقد تصور القاضي - كما يفهم من عبارته السابقة - الندرة في ابتكار المعاني الشعرية ، مع أنه يشير في هذا المعرض الى المعنى الواحد أو البيت الواحد الذي لا يعدم الشبيه ، ولا يعجز العثر عليه بعد تصفح الدواوين الكثيرة .

**وقال** أخذ الشاعر معنى بأسره ، أو بيتا بجملته من غير أن يغير فيه ، بأن يكسوه عبارة جديدة ، أو ينقله من الغرض الذي أنشد فيه الى غرض آخر ، أو يوزج فيه ، أو يقلبه الى صورة أبهى وأتق من صورة الأصل الذي احتذاه .. أو غير تلك الأسباب من وسائل الافتنان الكثيرة التي ألم بها الذين عالجوا موضوع السرقة أو الاحتذاء من قدامى الباحثين والنقاد من أمثال القاضي الجرجاني وأبي هلال العسكري وضياء الدين بن الأثير ، وإن اعترف هؤلاء جميعا بصعوبة البحث ، ووعورة المسلك في الاهتداء الى مواطن المتابعة ، ومواضع افادة السابق من اللاحق . وقد عد أبو هلال من تمام الحلق أن يخفي الآخذ ديبه الى المعنى ، يأخذه في ستره ، فيحكم له بالسبق اليه أكثر من يمر به !

ذلك جل ما دار حوله حديث القدامى ، وما استعظموه أو ما دافعوا عن جواز وقوعه من افادة الشعراء بعضهم من بعض ، أو اغارة بعضهم على بعض في البيت الواحد ، أو في الأبيات المعدودة . ولكن أحاديث هذا الزمان أشد عجبا .. شاعر أو مدح للشعر ينتحل لنفسه قصيدة بتمامها ، أو قصائد بأكملها !

وأديب كبير من الذين أعظمهم جيل من الأدباء والمتأديبين يترجم قصائد كاملة بعنواناتها ومعانيها وأخيلتها وصورها من إحدى اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، ثم يستخلصها لنفسه ، وينشرها باسمه ، ويضمها الى ديوانه . وليس له منها سوى الترجمة والنقل من لسان الى لسان ! وكاتب ، بل كتاب ، من الذين تلمع أسماؤهم في الصحف والمجلات ، ومن يوصفون بالابداع والتجديد ، ثم لا يلبث الخداع الا قليلا ، وسرعان ما ينكشف الستار عن سرقة مفضوحة ، وسطو شنيع ، واذا الغشاوة تنجلي عن القلوب ، بعد أن يزول الصدا عن العيون ! وما أريد أن أذكر في هذا المقام أسماء ، فما أردت الى تجريح أحد ، ولا الى النيل من كرامة انسان ، وأنا أتكلم عن أعمال ، ولا أتحدث عن أشخاص .

وقد كفانا مثونة التصريح والتعريض كثير من أهل المتابعة والتحقيق ، الذين نشروا على الناس دعاوهم مقرونة بأدلتها وحججها البينة التي لا تحتاج الى مزيد ، كما ذكروا أسماء السراق ، ووضعوا النقط على الحروف ، كما يقول .

وحدثني واحد من الشعراء المعروفين عن نفسه أنه قرض كثيرا من الشعر ، وألف كثيرا من القصائد ، ثم قدمها لقمة سائغة وغنيمة باردة لواحد من الاعلام المعدودين في دولة الشعر المعاصر ، فألقاها في مناسبات كثيرة ، وأمتع الناس بها في محافل حاشدة ، وسجلها بعد فيما نشر من شعره .

وكان هذا الشاعر يتوقع أن ينال الكثير من خير ذلك الشاعر الكبير ، ومن بعض ما أنعم الله به عليه من الجاه والثراء . فلما خاب فيما أمل ، طلق

يذبح هذا النبا العجيب الذي يثل أوطد الأمجاد ، ويؤزي بمروءة الرجال وكراماتهم ، ويصوب نحو عبقريتهم المعروفة سهام الشك والارتباب . وهي على كل حال دعوى يعوزها الدليل والبيينة وليس من شرعة الانصاف قبول هذه الرواية على علاقتها ، فعلم ذلك عند الله وعند الشاعر المعروف والشاعر العملاق الذي يشار اليه بالبنان ، وهما شريكان في المسؤولية ان صدقت الرواية ، وإن كذبت فلعنة الله على الكاذبين .

وهناك أغنية محببة الى الجماهير يتنافس في انشادها مطرب معروف ومطربة معروفة ، وترددها الاذاعات استجابة لرغبة الجماهير التي تعجب بكلماتها ، وتطرب لنغماتها . وفي كل مرة يحرص المذيعون على أن يقدموا هذه الأغنية باسم مؤلفها الذي يتمتع بمكانة مرموقة .

ولكن بعض العارفين تعلقوا شفاههم ابتسامة العجب والسخرية اذا سمعوا نسبة أبيات هذه الأغنية الى من تردده الاذاعات ، ويؤكدون أنهم قرأوها بأعينهم منشورة واستمعوا اليها من صاحبها الأصيل ، وهو شاعر عربي معروف . ويذهب بعض أولئك العارفين الى أن صاحب الجاه العريض اشترى أبيات تلك الأغنية بمال كثير فقدمه صاحبها ، في حين أن بعضهم يذهب الى أنه اغتصبها واستولى عليها عنوة واقتدارا .

ولعل ذلك يقرب من ضرب من ضروب السرقة خصه القدامى باسم « الاغرة » وهي عندهم أن يصنع الشاعر بيتا ويخترع معنى مليحا ، فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا ، فيروي له دون قائله ، كما فعل الفرزدق بجميل بن معمر ، وقد سمعه ينشد :

تروى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا الى الناس وقفوا فقال : الفرزدق : متى كان الملك في بني عذرة ؟ إنما هو في مضر ، وأنا شاعرها فغلب الفرزدق على البيت ، ولم يتركه جميل ، ولا أسقطه من شعره . وقد زعم بعض الرواة أن الفرزدق قال لجميل : تجاف لي عنه ، فتجافى جميل عنه .

بل لعل هذا الضرب أشبه بما يخصونه باسم « المرافدة » وهي عندهم ان يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له ، كما قال جرير لذي الرمة : انشدني ما قلت لهشام المرثي ، فأنشده قصيدته :

نبت عيناك عن ظلل بحزوي محته الريح وامتنع القطارا فقال له جرير : الا أعينك ؟ قال : بلى بأبي أنت وأمي : قال قل له :

بعد الناسون الى تميم يوت المجد أربعة كبارا يعدون الرباب وآل سعد وعمرنا ثم حنظلة الخبارا ويهلك بينها المرثي لغوا كما ألغيت في الدية الحوارا فلقية الفرزدق فاستنشده ، فلما بلغ هذه قال : جيد ، أعده ! فأعاده ، فقال الفرزدق كلا ، والله لقد علكهن من هو أشد لحين منك ، هذا شعر ابن المراغة !

واسترفد هشام المرثي جريرا على ذي الرمة ، فقال في أبيات : يماشي عديا لومها ما تجننه من الناس ما ماشت عديا ظلها فقل لعدي تستعن بنسائها على فقد أعيا عديا رجالها فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلتنا هذا والله شعر حنظلي ، وغلب هشام على ذي الرمة ، بعد أن كان ذو الرمة مستعليا عليه .

استرفد نابغة بني ذبيان زهيرا ، فأمر ابنه كعبا فرفده ! قالوا : وقد يستوهب الشاعر البيتين والثلاثة وأكثر من ذلك اذا كانت شبيهة بطريقته ، ولا بعد ذلك عيبا لأنه يقدر على عمل مثلها ، ولا يجوز ذلك الا للحاذق المبرز !



وكان هذا كله في عالم الشعر كما رأينا ، وكان لا يعدو البيت الواحد أو الأبيات القليلة كما قدمنا .

ولكننا في هذا الزمن العجيب نرى القصائد الكاملة تستلب من أصحابها . ونرى المقالات والبحوث الضافية تنهش من كاتبيها .

بل رأينا الكتب العلمية تغتصب من مؤلفيها .

وفي هذا الزمن العجيب رأينا البلوى لا تختص بها فئة ممن يقولون أو يكتبون دون فئة غيرها .

فليس الشعراء أوفر حظاً من الكتاب في انتهاب آثار الغير . وليس الأدباء أدنى حظاً من النقاد في هذا المضمار . وليس الأدباء أو النقاد أوفر حظاً في هذا الباب ممن يدعون العلم .

وهكذا عمت البلوى ، فلم تعد مقصورة على الكاتين في الصحف والمجلات ، أو على الشعراء الذين يباهون بفنهم وينشرونه في الدواوين ، ولكنها تجاوزتهم الى من يجلسون من الناس مجالس الحكماء ، فامتحنوا كرامة العلم ، واستهانوا بحقوق ذوي الاصاله المتميزة من أهل المعرفة الصحيحة ، حتى تجاوز الأمر حدود الإفاده من الفكرة ، والنسج على منوالها كما يفعل الذين بقيت فيهم بقية من الحياء ، الى النقل الحرفي لكل كلمة وكل عنوان في كتب معروفة وبحوث منشورة .

وأعجب من هذا أن تنتقل العدوى الى الجامعات ، وهي مبعث النور والحكمة ، والصورة الباقية لعالم المثل الرفيعة والمبادئ الشريفة ، فيكون ممن ينتسبون اليها مثل ما تنشره الصحف من اغارات بعضهم على نتاج الأحياء ، وتراث الذين طوى شخوصهم الردى تحت التراب .

وفي بعض الأحيان يصغي الحريصون على شهود مناقشات الرسائل الجامعية الى بعض أعضاء لجان المناقشة والتحكيم وهم يأخذون بتلايب بعض أصحاب تلك الرسائل ، ويدبونها بالسرقة ، ويقدمون أمام جمهور المشاهدين الوثائق التي تؤيد دعواهم . ويفحم الطالب ، فلا يحير جواباً أمام هول المفاجأة ، وأمام التهمة النكراء التي لا يستطيع الفكك منها أو المماراة فيها .

فاذا خلا أعضاء اللجنة للمداولة ، لبث الحاضرون يترقبون قرارها مستعظمين هذا الاثم ، ومتسائلين : كيف فات ذلك على الأستاذ المشرف ؟ وأين كان علمه الفياض واطلاعه الواسع ؟

ولا تلبث الحيرة أن تزول ، ليحل محلها العجب المذهل حين يستمعون الى صوت رئيس اللجنة يدوي على ملأ من الناس معلناً قرارها باستحقاق ذلك الطالب الذكي الدرجة العلمية الرفيعة مصحوبة بدرجة الشرف المرموقة جزاء وفاقاً على فعلته النكراء !

وهكذا تهون كرامة العلم والعلماء ، وكأن السرقة السافرة أصبحت أمراً مشروعاً .

\*\*\*

يكون بعض الذين يوالون الكتابة السريعة في الصحف والمجلات معذورين اذا ما يسر لهم وسواسهم سبيل السطو والاغارة ، وأعجلهم الوقت ، فلم يدع لهم فرصة للتأمل أو للتفكير في تخير الموضوعات التي يعالجونها ، وتمحيص الأفكار التي يحشدونها ، فيتلقطون طرائف الموضوعات ، وغرائب الأفكار ، ثم ينشرونها في الناس ، ليشهدوا لهم بالعبقريّة والنبوغ ، ويعترفوا بقدرتهم الفائقة على التجدد والتجديد ، ومن ثم يحصلون على ما يشاؤون من المجد أو من ذلك الطريق الذي لا يجدون طريقاً سواه لكسب الأموال ، أو تحصيل الأمجاد .

واذا كان ذلك قد يغفر — ولا أظنه يغفر — لأولئك الذين يطلبون العيش ، لما جرى من القول المأثور بأن طالب القوت ما تعدى ، فانه لا يغفر لواحد من أولئك الذين وسع الله أمامهم سبل الرزق ، ومهد لهم طرق المجد ، الا اذا كان الجوع قد تأصل في نفوسهم ، واستحكم في طباعهم ، فيصحبون ويمسون ظمأ وفي البحار أفواههم ، على الرغم من أن الظروف قد وضعتهم في مواضع الحكماء وجعلتهم قادة يلقتون الناس أصول الحكمة والسداد .

ومثل هؤلاء لا عذر لهم فيعتذرون عن تلك الاغارات الشنيعة على ثمرات الجهود العقلية ، وخلاصة التجارب المريرة التي بذل أصحابها فيها زهرة شبابهم ونور عيونهم .

وبعد ، فما دلالة تفشي هذه الظاهرة المشينة بصورة ملحوظة في زماننا ؟

وقد يكون من الممكن تعليل تلك الظاهرة بالافلاس الفكري أو الفني بمعنى فضوب الملكات واقفارها ، وعجزها عن التجديد أو الابتكار . وهذا التعليل يشبه الى حد كبير قول من يقول ان اللص انما يضطر الى السرقة اضطراراً اذا لم يجد ما يطعمه مما يقيم أوده ، ويحفظ عليه حياته ! وهو تعليل غير صحيح ، أو هو في الأقل تعليل غير مطرد ، بدليل ان كثيراً من أولئك اللصوص لا يشكون الفاقة ولا يسرقون من الخصاصة ، بل انهم قد يملكون من المال والمتاع ما يكفل لهم العيش الخلال والحياة الشريفة من غير مكابدة أو عناء ، ومن أولئك السراق من يكون في حيازتهم أضعاف ما يملك ضحاياهم من المسروقين والمنهوبين . ومن الفقراء المعدمين الذين لا يجدون القوت من هم أعف نفساً ، وأنبل مقصداً . لست أرى ما يراه كثير من النقاد الذين يذهبون الى أن الأسلاف قد استنفدوا المعاني والأفكار ، واستهلكوا خير ما فيها ، ولم يعد في استطاعة الأخلاف الا أن يتلقطوا فئات موائدهم ، اذا كانوا يستحون من السطو على جل فيها .

أن أبواب التجديد والابتكار لا يمكن أن توصد ، ولا يمكن القول بأن العقول الانسانية يمكن أن تتوقف ، ولا يمكن للعواطف الانسانية أن تتجمد الا اذا توقفت الخطى الانسانية عن المسير . وما يزال الفكر الانساني يعمل ويبني ويجدد ، وآثار هذا التجدد في مناحي التفكير المختلفة شاخصة لا تحتاج الى دليل يؤكدها ، فقد شهدت الانسانية في عصرنا من آيات الاجادة الماثلة ما كان حلماً من أحلام الأزمان الماضية ، والأجيال المتباعدة ، بل ما لم يكن يخطر ببال أحد من الغابرين .

ولكنني مع هذا أوافق رأي القائلين بإفلاس هذا النفر من لصوص العلم وسراق الفنون افلاساً فكرياً وفنياً ، اذ لو كان لديهم شيء من آثار الملكة المحدودة لكان لهم ما يتقدمون به الى الناس عامة وإلى طلاب المعرفة خاصة ، ولكان لهم من امداد عبقرياتهم وملكاتهم ما يقولون وما يكتبون ، وما رضوا لأنفسهم أن ينهجوا ذلك النهج المشين في السطو على أعمال الناس ، واقتناص ما يستطيعون منها .

وأضيف الى هذا الافلاس افلاساً آخر أشد منه خطراً ، وأبعد أثراً ، وهو الافلاس الخلقي الذي يسر لصاحبه الاستخفاف بحقوق الآخرين ، والكسب المادي أو المعنوي من غير طريقه المشروع . وفي ذلك ما فيه من المجاهرة بالرديلة والعبث بالقيم الانسانية والفضائل النفسية ■ بدوي طبانة - القاهرة



# دور الجامعة السعودية

عبد الرحمن ، من كبار موظفي وزارة الداخلية ، وشارك فيها سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد ، وكيل وزارة المعارف للشؤون الفنية والإدارية ، وسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز الفيصل ، مدير عام البعثات الخارجية في وزارة المعارف ، وسعادة الدكتور بكر عبد الله بن بكر ، عميد كلية البترول والمعادن بالظهران ، وعدد من ذوي الاختصاص من جامعة الرياض ، وكلية البترول والمعادن ، ومؤسسة بترمين ، ومعهد الإدارة العامة .

وقد افتتح الندوة سمو الأمير بندر بن عبد الله ابن عبد الرحمن ، وسار النقاش فيها على النحو التالي :

الأمير بندر بن عبد الله : قبل أن نمضي قدما في ندوتنا هذه أود أن أشير الى أننا مجتمعون هنا لتبادل الآراء ومناقشتها حول موضوع يعتبر من أكثر الموضوعات اتصالا بالتنمية الاقتصادية والصناعية في المملكة ، ألا وهو إيجاد القوى

وجه . وبينما تتصافر جهود أجهزة الدولة في هذا السبيل ، نجد أن العبء الأكبر في أعداد القوى العاملة المدربة وتوفير الكفاءات العلمية والخبرات الفنية المتنوعة التي تتطلبها قطاعات التنمية ، يقع على كاهل المؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها وتخصصاتها واتجاهاتها ، مع ادراكها لأهمية وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقها .

ولما كان موضوع توفير الامكانيات البشرية يشغل أذهان الكثيرين ، فقد بادرت « كلية البترول والمعادن » بالظهران الى عقد مؤتمر علمي نظمت خلاله ثلاث ندوات تناولت دور الجامعة السعودية في مجال التنمية الصناعية والاقتصادية . وقد سبق للقافلة أن نشرت على صفحات عدد من سابقين تفاصيل الندوتين المتعلقتين بالخدمات العامة والأبحاث . وها نحن نستعرض تفاصيل الندوة الثالثة في هذا العدد التي تتناول موضوع القوى العاملة ، وقد استضافت الكلية للاضطلاع بإدارة الندوة سمو الأمير بندر بن عبد الله بن

الأمم بمقدار ما يتمتع به أبناؤها من مستوى علمي ، ومن هذا المنطلق راحت حكومة المملكة العربية السعودية تركز الجهود وتنفق الأموال في سبيل نشر التعليم وتعميمه بين جميع المواطنين ، بفضل ما أسبغه الله عليها من نعم وفيرة ، لتبني القاعدة الصلبة التي عليها تقوم دعائم النهضة الصناعية والاقتصادية التي تتطلع الى تحقيقها . فالمشاريع الضخمة التي تضطلع بها الدولة تحتاج الى أعداد كبيرة من الفنيين والخبراء والمهندسين والإداريين وغير ذلك من الكفاءات التي لا غنى عنها لنجاح تلك المشاريع . ولذا فقد أولت حكومة المملكة هذه الناحية اهتماما كبيرا فأوجدت المعاهد الفنية ، ومراكز التدريب المهني ، والكليات المتخصصة ، وأحدثت برامج التأهيل الصناعي ، كل ذلك لتخريج ما تحتاجه المملكة من طاقات بشرية مؤهلة قادرة على النهوض بأعباء هذه الأعمال الحيوية والمشاريع الانمائية على أكمل

سمو الأمير بندر بن عبد الله بن عبد الرحمن الجالس الى يسار الصورة يدير دفة النقاش حول الوسائل الفعالة لتطوير القوى العاملة التي تحتاجها المملكة في المرحلة الزاهية من نموها .





# في التنمية الصناعية والاقتصادية

ندوة القوى العاملة (٣)

التعليم العالي لدينا تشكو من قلة المتقدمين إليها من خريجي المدارس الثانوية . أما اليوم ومع الازدياد المطرد في عدد المدارس الثانوية والاقبال الشديد على التعليم فقد انقلب الوضع رأساً على عقب ، اذ ارتفع عدد المتقدمين إليها ارتفاعاً حاداً أصبح معه استيعاب الجامعات للأعداد الهائلة من حملة التوجيهية من الصعوبة بمكان . بل ان نحو النصف من حملة شهادة الدراسة الثانوية لهذا العام لم يتسن له مواصلة الدراسة لاقفال أبواب القبول في الجامعات ، ولذا التحق البعض بوظائف حكومية بسيطة ، والبعض الآخر سافر الى الخارج لمواصلة دراسته على حسابه الخاص . فما أحرانا والحالة هذه أن نبحث عن علاج ناجع لهذه المشكلة ، خاصة ونحن بحاجة ماسة الى طاقة بشرية متخصصة في وقت قصير . وهناك ناحية أخرى جديرة بالمناقشة وتداول الآراء ، تلك هي أن بعض كلياتنا ومؤسسات التعليم لدينا لا تعترف بمستوى

الوزارات والمرافق الحكومية والمؤسسات الأهلية في تأمين الخبرات اللازمة لها ، ومن ثم التسابق للحصول عليها . ومع أن هذا التنافس في حد ذاته صحي حتى هذه اللحظة ، الا ان المشكلة الاساسية تكمن في كيفية التوصل الى أنجع السبل لتوفير مثل هذه الخبرات في المجالات المطلوبة على المدى القريب والبعيد . وانني لسعيد جداً أن أرى بيننا من يمثل بعض الاجهزة المهيمنة على مسار التعليم والتدريب بمختلف مستوياته ، ولعلمهم يلقون بعض الضوء على جوانب هذه القضية ، رغم عدم اتضاح الرؤية ، وعدم توفر معالم محددة للندوة نلتزم بها .

الأمير خالد بن فهد : بصفتي أمثل وزارة المعارف التي تعتبر الجهاز الأم لجميع مؤسساتنا التعليمية التي نتناول اليوم دورها في تطوير القوى البشرية في المملكة أشارككم النقاش بهذا الصدد . ولعل من المفارقات الغريبة أن أذكر انه منذ بضع سنوات كانت الجامعات والكليات ومؤسسات

العاملة المدربة باعتبارها الركيزة الأساسية للتقدم الصناعي . ان توفير الأيدي العاملة المؤهلة ، من حيث وجود الرجل المناسب في المكان المناسب ، أمر يتطلب جهوداً ضخمة ، لعل جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية العليا ومراكز التدريب المهني لدينا تتحمل العبء الأكبر منها . وانني على يقين من أن كلا منكم يشعر بحجم هذه المشكلة وأبعادها وآثارها على مجالات التنمية في المملكة . ولا يفوتني أن أذكر في هذا الصدد أنني حضرت منذ مدة وجيزة اجتماعاً للمدراء العامين مع بعض الخبراء لمناقشة موضوع الخبرات التي تحتاجها المملكة في مدى السنوات الخمس القادمة ، وتبين من الاحصاءات أن البلاد ستحتاج الى نحو ١٥٠٠٠ وظيفة جديدة تخصصية . ولا يستطيع المرء ازاء هذا العدد الضخم من الخبرات المطلوبة إلا أن يفكر في كيفية توفيرها للقطاعات المختلفة . وهي مشكلة تواجهها كل أجهزة الدولة . فلا غرو والحالة هذه أن نرى التنافس على أشده بين

الاهتمام باد على اوجوه أثناء إدلاء أحد المشتركين برأيه في ندوة قوى اعملة





بعض الأجهزة الحكومية تتجاوز أحيانا الخمسين بالمئة ومرد ذلك الى عدم التخطيط من ناحية ، والفشل أو التغيير في مجال التخصص من قبل المبتعث من ناحية أخرى . والنتيجة المترتبة على تغيير مجال التخصص هي أنه يتوفر لدينا من التخصصات ما لا تحتاجه الوزارة المعنية ، وقد يجد صاحب التخصص صعوبة في العثور على عمل مناسب له . فحذا لو يتم وضع خطة شاملة للابتعاث مبنية على تنسيق متكامل وتخطيط سليم تشترك في تقريرهما أجهزة الدولة والمؤسسات العلمية العليا بالتعاون مع ادارة البعثات في وزارة المعارف .

**الأمير بندر بن عبد الله :** من الملاحظ أن تغيير التخصص يتسم بالمرونة فيما يختص بمبتعثي وزارة المعارف ، فإذا حدث وغير مبتعث مجال تخصصه من الهندسة الكيميائية مثلا الى علم الاجتماع ، فانه عقب تخرجه يوجه الى ديوان الموظفين ليتولى أمر ايجاد عمل له يتلاءم مع تخصصه . بينما يختلف الوضع مع مبتعثي وزارتي الدفاع والداخلية اذ تفرض عليهم بعض القيود والالتزامات . وأرى أن مشكلة تغيير مجال التخصص تنشأ من الكيفية التي يتم بها اختيار الشخص المبتعث . ولكي نساهم في حلها يجدر بنا اتباع وسائل الاختيار الدقيق المبني على الموضوعية المطلقة .

**د. صالح باخريه :** أعتقد أن الجامعات ومؤسسات التعليم في بلادنا حسب تكوينها لا تستطيع سد احتياجات المملكة من الخبرات والقوى البشرية الا الى حد معين ومستوى معين هو مستوى ذوي المؤهلات العالية من مهندسين



جانب من ندوة القوى العاملة .

مؤسسات للتعليم العالي في المملكة حينذاك ، لذا ارتأت وزارة المعارف ابتعاث عدد من الطلبة الى الولايات المتحدة وأوروبا كل عام لسد الفراغ الذي كانت تعانيه الدولة من عدم وجود الكفاءات العالية . وقد حققت تلك البعثات الخارجية نتائج طيبة ، دليل ذلك أن أفرادها يتسمنون اليوم المراكز الرئيسية في أجهزة الدولة وأجهزة التعليم في الجامعات والكليات والمعاهد العليا . وما لبث أن طرأ تغيير على برنامج الابتعاث في وزارة المعارف في أوائل الستينات بعد قيام جامعة الرياض بفروعها المتكاملة ، وانشاء جامعة الملك عبدالعزيز بجدة وكلية البترول والمعادن بالظهران ، اذ تبنت الوزارة خطة ، أصبح الابتعاث بمقتضاها مقصورا على الدراسات العليا والتخصصات غير المتوفرة في مؤسسات التعليم العالي في المملكة ، وكذا التخصصات الموجودة فعلا في المملكة ولكنها لا تفي بمتطلبات خطة التنمية الشاملة . فعلى سبيل المثال لدينا كلية الطب في جامعة الرياض ، وهي لا تستطيع أن تنتج أكثر من مائة طبيب في غضون عشر سنوات ، وهو عدد ضئيل لا يضمن ولا يغني عن جوع ، ولذا أبقينا باب الابتعاث في حقل الطب مفتوحا . لقد حاولت وزارة المعارف أن تضع خطة منسقة للابتعاث تشمل موظفي الدولة بالتعاون مع الادارات والوزارات المعنية مع الأخذ بعين الاعتبار النقص الذي تعانيه كل وزارة في القوى العاملة والتخصصات التي تحتاجها ، بيد أنه حتى الآن لم يتم التجاوب الشامل في هذا المجال . ان الاحصاءات والمعلومات المتوفرة لدينا تشير الى أن نسبة الفشل في البعثات الخارجية التي ترعاها

خريجي المدارس الثانوية ، وعليه فانها تعتمد الى تنظيم ما يسمى بالمرحلة الاعدادية أو التحضيرية لهم قبل انتظامهم في مرحلة الدراسة الجامعية بغية تقويتهم وسد ما يعانونه من نقص في نواح علمية معينة . فحذا لو تساهم هذه الكليات في وضع المناهج التعليمية للمرحلة الثانوية ، الأمر الذي سيساعد في تطويرها بما يتلاءم مع متطلباتها حتى لا يحس الطالب المنتحق بالكلية بفجوة تقف حائلا دون سيره بصورة مرضية في دراسته الجامعية ، وبذلك نخصر الزمن ونسهم في توفير التخصصات التي تحتاجها البلاد . وهناك موضوع الابتعاث ذو الصلة المباشرة بما تحتاجه أجهزة الدولة من تخصصات وخبرات ، وبودي لو يحظى هذا الموضوع بالقاء الضوء عليه من جانب ذوي العلاقة به .

**الأمير بندر بن عبد الله :** المعروف أن وزارة المعارف لديها برنامج للابتعاث يسير وفق خطة معينة ، بيد أن الوزارات الأخرى كالداخلية والدفاع تقوم بابتعاث موظفيها تمشيا مع احتياجاتها من الخبرات والتخصصات . والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو : لماذا لا تكون هناك خطة موحدة للابتعاث تنفذ بالاشتراك مع وزارة المعارف ؟

أعتقد أن الأمير فيصل بن عبد العزيز الفيصل ، بحكم صلته المباشرة بهذا الموضوع كمدير عام للبعثات الخارجية في وزارة المعارف ، يستطيع أن يتحدث إلينا عنه .

**الأمير فيصل بن عبد العزيز الفيصل :** بدأ الابتعاث في وزارة المعارف كبرنامج منظم في أواخر الخمسينات . وكان الدافع اليه أصلا عدم وجود

أحد أساتذة كلية البترول والمعادن يشرح للضيوف







تميزت ندوة القوى العاملة بخوار السخن الهادف .

**الأستاذ علي الجهني :** يبدو لي من سير النقاش أننا حتى الآن نركز على مشكلة الخريجين ، وما ذلك الا للحاجة الماسة الى القوى العاملة المدربة . وفي رأيي أنه يمكن توفير الطاقة البشرية عن طريق زيادة عدد الخريجين شريطة أن نضع نصب أعيننا الكفاءة العالية التي نتوخاها في هذه الطاقة . وأرى لحل هذه المشكلة أن نفتح أبواب كليتنا ليلا لاستيعاب خريجي المدارس الثانوية ، وأن نستغل هذه الامكانيات المتوفرة لدينا .

**الأستاذ سعد الحصين :** لنا أن نتساءل ونحن في خضم مشكلة الخريجين عن كيفية تطوير القوى العاملة المطلوبة ، ودور مؤسسات التعليم العالي في هذا المجال ، والعلاقة بينها وبين موضوع توفير القوى العاملة التي تحتاجها المملكة . ان هذا يدفعنا الى تحديد الأهداف الأساسية للتعليم العالي . فهل ينحصر الهدف في مجرد تخريج القوى العاملة المطلوبة أم يتعداه الى تطوير القوى العاملة المتوفرة لدينا عن طريق رفع مستواها الانتاجي ؟ ليس من شك في أن مؤسسات التعليم العالي تهدف أساسا الى تخريج فئات مسلحة بالعلم والخبرة لتتدخل بما يعهد اليها من أعمال مختلفة ، وهي قادرة في الوقت ذاته على الاسهام في رفع مستوى العاملين في محيطها عن طريق تنظيم برامج خاصة لهم يجري تنفيذها في أوقات تعبئتها الكلية في حدود امكانياتها . أما من ناحية قبول خريجي المدارس الثانوية في الكليات المختلفة ، فأعتقد أن لكل منها نظاما خاصا يفرض بعض المتطلبات التي لا بد من توفرها أو تليتها من قبل

حملة التوجيهية الذي سدت أمامهم أبواب الجامعة ، لحدود امكانيات الجامعات الموجودة حاليا في المملكة وعدم القدرة على استيعابهم ، وهي المشكلة الجديده التي نواجهها اليوم . والمشكلة الأخرى التي تواجه جهاز التعليم في بلادنا هي نقص المدرسين لدينا . وأعتقد أن الجامعات ومؤسسات التعليم العالي عندنا مسؤولة الى حد ما عن هذا النقص ، اذ يمكنها أن تلعب دورا ايجابيا في تخفيف حدة هذه الأزمة التي تعانيها وزارة المعارف . فالمعروف أن كثيرا من الكليات وخاصة كليات العلوم والهندسة تأخذ خريجيه كعديدين فيها لستين عقب التخرج وفق نظام متبع لديها . ولذا أقترح على هذه الكليات أن تعبر معييدها الى وزارة المعارف في السنة الأولى ليعملوا في مدارسها ، ومن ثم يمكن اعادتهم الى كلياتهم وبذلك يكون المعيد قد اكتسب خبرة عملية قيّمة من جهة ، وساهم في حل مشكلة النقص في المدرسين لدينا من جهة أخرى .

**د. سليمان السليم :** ان مشكلة خريجي المدارس الثانوية التي أشار اليها سمو الأمير خالد بن فهد هي في الواقع مشكلة خطيرة ، فنحن في كلية التجارة التابعة لجامعة الرياض ، على سبيل المثال ، أوقفنا هذا العام باب التسجيل في وجه من كان معدلته في شهادة الثانوية العامة دون ٦٨ بالمئة ، مع أننا حشدنا في الفصل الواحد حوالي ٥٠ طالبا . فهل ازاء هذا الوضع يتعين علينا فتح باب القبول على مصراعيه أمام الطلاب على حساب نوعية التدريس ، أو انشاء كليات جديدة ، أو اللجوء الى ابتعاث الطلاب الى الخارج ؟

ونخبراء وغيرهم . والسؤال الذي أحب أن أطرحه هو : هل تستطيع الجامعات ومؤسسات التعليم أن تؤدي دورا ايجابيا في ايجاد فئة من القوى العاملة التي تحتاجها مجالات التنمية الصناعية في بلادنا ؟

**الأمير بندر بن عبد الله :** المفروض أن تتقاسم هذه المؤسسات هذا العبء وأن تتضافر جهودها في ايجاد تلك الفئة .

**أحد الحاضرين :** ان المملكة في وضعها الحالي تستطيع استيعاب أية كفاءة وأي مجال تخصصي . ولكن تواجهنا مسألة التنسيق في نوعية التخصصات التي تحتاجها المؤسسات الحكومية والأهلية ، وأعتقد أن « الهيئة المركزية للتخطيط » تلعب دورا في هذا المجال .

**الأمير بندر بن عبد الله :** لا شك في أن الهيئة المركزية للتخطيط تضطلع بموضوع كهذا ، بيد أن سياسة الابتعاث من أجل الحصول على التخصصات التي تحتاجها أجهزة الدولة تلعب هي الأخرى دورها في الموضوع كما سبق وان أوضحنا ذلك .

**الأمير خالد بن فهد :** حينما نقشت الخطة الخمسية الأولى فيما يتعلق بمسألة توفير القوى البشرية العاملة اتضح للقائمين عليها أن المؤسسات الحكومية والأهلية ما كانت لتجد بغيتهما من الطاقة البشرية بسبب العجز في خريجي المدارس الثانوية . وقد سبق أن أشرت الى أن الدولة قد تغلبت على هذه المشكلة بافتتاح مدارس ثانوية في مناطق عديدة . الأمر الذي لم يلب حاجة تلك المؤسسات الى هذه الفئة من الطاقة البشرية فحسب ، بل أدى الى فائض من

بعض الأجهزة الحديثة في معامل الكلية .







أصحب سمو الأمراء خالد بن فهد ، وفصل بن عبد العزيز الفيصل ، وبندر بن عبد الله ، يستمعون الى شرح أحد أساتذة كلية البترول والمعادن أثناء جوبتهم بين معمل الكلية .



أن هناك نحو ٢٠٠ طبيب نتوقع تخرجهم من كلية الطب في جامعة الرياض في غضون السنوات السبع القادمة ، فمن هذه الاحصائية ندرك مدى العجز المتوقع في مجال الطب ، وهو قطاع ضيق من قطاعات التنمية المشوذة ، ومن ثم قس على ذلك ما سنحتاجه من فنيين ومهندسين ومدرسين وغيرهم . وعليه فلا أرى أن نلزم أنفسنا بنظام تعليمي مستورد يطبق في بلادنا تختلف عن المملكة ظروفها وأسلوب حياة . الأستاذ عز الدين السعيد : طالما أن وجود القوى البشرية المؤهلة هو مبتغانا ، أرى أن نحدد نوعية هذه القوى ونوعية انتاجها حتى يتسنى لنا توفير أقوم السبل لتأمينها . فإذا كان ما نتطلع اليه هو أن يكون لدينا طاقة بشرية منتجة على الوجه الصحيح ومؤهلة تأهيلا كاملا فعليها والحالة هذه أن نتغاضى عن طول الفترة اللازمة للتدريب والتأهيل . ان المملكة في وضعها الراهن لا تستطيع أن تؤمن القوى البشرية التي تحتاجها خطط التنمية ، فلا ضير أن توجه أنظارنا الى مناطق عربية واسلامية لجلب الخبرات والكفاءات التي ثبت لديها نجاحها وفعاليتها في تحقيق أهدافها المرحلية . هذا ويجدر بنا أن ننظر الى المؤسسات التعليمية في بلادنا نظرة تتسم بالمرونة بصفتها المنتج للقوى البشرية المؤهلة ، وإن تعاملها تبعا لذلك بطريقة تختلف عن معاملتنا للمؤسسات الانتاجية الأخرى .

المتقدم اليها ، وهو أمر لا يمكن تجاهله لأن أهداف الجامعة لا تنحصر في تخريج الطلاب كمتا ، بل يهتما الكيف أيضا . الأستاذ بكر حسن : نلاحظ بوجه عام أن الطاقة الانتاجية لخريجي الجامعات العاملين في الأجهزة الحكومية وغيرها ليست بالمستوى الذي نتوخاه . وجدير بنا أن نفكر في الوسائل الكفيلة برفع طاقتهم الانتاجية ومقدرتهم العطائية . الأمير فيصل بن عبد العزيز الفيصل : كل منا يدرك مانعائه من نقص في القوى البشرية اللازمة لخطة التنمية في المملكة ، ولذا نحاول جاهدين التغلب على هذه المشكلة بايجاد أفضل الحلول وأسرعها ، بيد أننا ونحن في غمرة المحاولة نجد أنفسنا مكبلين بعاملين : أحدهما نظام التعليم السائد في بلادنا والذي يتسم بالطابع الستاتيكي (السكوني) لا الديناميكي ، والآخر التسارع الهائل في التقدم التكنولوجي الذي نحاول اللحاق به . فعندما بدأنا التعليم في المملكة استوردنا نظام التعليم من الخارج وطبقناه في بلادنا بسبب نقص الكفاءات عندنا آنذاك . تلك الخطوة في البداية كانت أمرا لا مجيد عنه . أما أن نقف الآن حيال ذلك النظام جامدين بعد التطور السريع الذي شمل مرافق الدولة فذلك ما لا يتفق وما نصبو اليه من ايجاد القوى العاملة المؤهلة التي تسد حاجة القطاعات المختلفة في المملكة وحري بنا أن نتناول ذلك النظام بالتعديل والتكييف بما يتلاءم مع بيئتنا وحاجة بلادنا . لقد درجنا منذ وجد التعليم النظامي في بلادنا على أن تستغرق المرحلة الابتدائية ست سنوات ، والمرحلة المتوسطة ثلاث سنوات ، والثانوية ثلاث سنوات والجامعية بين أربع وخمس سنوات ، دون أن تمتد الى هذا التقسيم يد التغيير ودون ما مراعاة للظروف التي تمر بها المملكة ، واتخذنا ذلك قاعدة راسخة بل شيئا مسلما به . ولست أدري ما اذا كان المشتركون في هذه الندوة يشاركوني الرأي في إعادة النظر في نظام التعليم المتبع عندنا ككل . ان احصائية بسيطة تعرضها عليكم كافية لأن تدعو القائمين على أمور التعليم الى البحث عن مخرج لما نعانيه من نقص في الأيدي العاملة والطاقات البشرية المؤهلة . ان خطة التنمية الموضوعة تقتضي وجود ثلاثة آلاف طبيب سعودي في المملكة مع حلول عام ١٩٤٠٠ . من هذا العدد لدينا الآن نحو ١٢٠ طبيبا عاملا ، كما أن لدينا حوالي ٦٠٠ طالب يدرسون الطب خارج المملكة . أضف الى ذلك

صاحب سمو الملكي الأمير سعد الفيصل يصحبه بعض الضيف



مختلفة من القوى البشرية ، كما هو الحال في كلية البترول والمعادن ، فلدنيا الهندسة التطبيقية والهندسة العلمية ، ومع أنهما تخصص واحد شكلا ، إلا أنهما مختلفان مستوى وعملا .

د. فهد الحسيني : نحن لا شك بحاجة الى عمال مهرة وفنيين ( Technicians ) ، فلماذا لا تكون هناك مؤسسات علمية أخرى تستقبل خريجي الثانوية من ذوي المستوى الذي لا يفي بمتطلبات الجامعات ؟

الأمير خالد بن فهد : ان المؤسسات التي تتحدث عنها موجودة فعلا ، إلا أن المشكلة تكمن في أن الطلاب يتطلعون الى المؤسسات العليا رغم الاغراءات الكبيرة والتسهيلات الجمة . وقد يعود ذلك الى قلة الأيدي العاملة الفنية التي تشرف على تلك المؤسسات . إلا أنه في السنوات القليلة الماضية بعد اجراء تعديلات على سياسة القبول فيها لوحظ اقبال ملموس عليها . ولدنيا خطة للتوسع في مثل هذا النوع من التعليم مستقبلا لاستيعاب عدد أكبر من حملة التوجيهية .

د. سليمان السليم : مع أننا حاولنا حل مشكلة استيعاب الطلاب عن طريق الانتساب الى الجامعات ، فاننا لا نزال بحاجة الى عمال مهرة وفنيين أكفاء للقيام بمشاريع التنمية . الأستاذ الطيب الدباغ : هل هناك خطة موضوعة من قبل جامعاتنا لتدريب طلابها على الحياة العملية ثم متابعة الاتصال بهم عقب تخرجهم ؟ أعتقد أن هذا أمر على جانب كبير من الأهمية ، وأرى أن تأخذ مؤسسات التعليم العالي عندنا بعين الاعتبار .

د. فهد الدخيل : تطرقنا الى دور المؤسسات في ايجاد الطاقة البشرية المؤهلة ، فهل لها دور في تنظيم دورات دراسية قصيرة « Short Courses » لموظفي الدولة بغية رفع كفاءاتهم وطاقاتهم الانتاجية ؟

الأمير بندر بن عبد الله : لدينا معهد الادارة العامة بالرياض الذي يقوم بتنظيم دورات مستمرة لموظفي الأجهزة الحكومية . الأستاذ بكر حسن : هناك مشكلة نواجهها ، تلك هي التضخم في عدد حملة الشهادات وحشدهم في ادارة واحدة مما قد يتسبب في عرقلة العمل . فحبذا لو توخينا التنسيق في هذا المجال بين الوزارات والمؤسسات .

الأمير بندر بن عبد الله : لحل هذه المشكلة ينبغي أن نضع خطة عمل للخريجين وتوزيعهم توزيعا سليما على الأجهزة الحكومية والمؤسسات



جانب من الأجهزة العلمية الحديثة في أحد الفصول وقد استأثرت باهتمام عدد من الضيوف لدى جولتهم التفقدية لمعامل الكلية المختلفة التي تمثل حجر الزاوية في صرح النهضة الصناعية التي تنشدها المملكة .

الأمير خالد بن فهد : سبق وإن ذكر أحد الاخوان أنه لا بد أن تكون لدينا سياسة واضحة للتعليم ، والواقع أن هناك سياسة للتعليم مرسومة ، صدرت منذ ثلاث سنوات بقرار من مجلس الوزراء وبقرار آخر من اللجنة العليا لسياسة التعليم ، بيد أن هذه السياسة تحتاج الى أن تترجم بالأفعال .

ونقطة أخرى أود ابداءها ألا وهي ما أورده البعض عن انخفاض المستوى العلمي للجامعات في حال قبولها أعدادا كبيرة من حملة التوجيهية . الغريب في الأمر أننا ونحن نتحدث عن المحافظة على المستوى العلمي الرفيع لجامعاتنا نعتمد على فئة مستوردة متخرجة من مؤسسات تعليمية أقل مستوى من مؤسساتنا ، هذه الفئة هي التي تقدم الخدمات الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . فكيف يتفق هذا مع ما تنشده من مستوى رفيع لجامعاتنا ؟ وكما تعلمون أن المملكة لديها مشاريع عديدة تتطلب قوى بشرية كافية للاضطلاع بها . ان دور وزارة المعارف يقف عند حد تخريج الطالب الثانوي . أما بعد ذلك فتقع تبعته على مؤسسات التعليم العالي عندنا .

الأستاذ علي الجهني : اذا كانت المشكلة تنحصر في استيعاب خريجي الثانوية ، فأرى ايجاد مستويين في الجامعات والكليات يفي كل منهما بغرض معين ، وبذلك نوفر لمشاريعنا مستويات



جولة تفقدية لمعامل كلية البترول والمعادن .





سمو الأمير خالد بن فهد ، الجالس الى أقصى يمين الصورة ، يصفي باهتمام الى ما يقوله المشتركون في الندوة . تصوير : شركة التصوير الوطنية/ الخبر

الأمير فيصل بن عبد العزيز الفيصل : أحيانا أفكر في إطار عام للمعايير التي نقيس بها جودة التعليم ونوعيته . لماذا لا نحاول أن نضغط الوقت اللازم لتخريج المهندس على سبيل المثال كما تفعل بعض الدول .

د. بكر عبد الله بن بكر : ان المشكلة هي سكانية بحثة ، وأعتقد أن مجموع الدرجات التي يحصل عليه الخريج لا يدل على مستواه العملي . يجب أن نزن ذلك بموازين أخرى بطرق مباشرة وغير مباشرة . والأهم من ذلك كله نجاح الخريج في حياته العملية .

وعند هذا الحد من النقاش قام سمو الأمير بندر بن عبد الله بتقديم عرض سريع للأراء ووجهات النظر المختلفة التي نوقشت حول موضوع القوى العاملة واستخلص منها نقاطا أساسية رأى أن تؤخذ بعين الاعتبار في مناقشات لاحقة ، لبلورتها ومن ثم الوصول الى قواعد صلبة لبناء طاقة بشرية مؤهلة قادرة على دفع عجلة التنمية الاقتصادية والصناعية المنشودة ■ سليمان نصر الله - هيئة التحرير

نفسى أن أجد أعدادا كبيرة من خريجي المدارس الثانوية لا يستطيعون ايجاد أماكن لهم في جامعاتنا وكتباتنا .

د. بكر عبد الله بن بكر : لدي اقتراحات كثيرة لحل هذه المشكلة ولكن ليس على حساب المستوى التعليمي الذي نحرص عليه والذي يجب ألا يكون موضوع نقاش . ومن بين هذه الحلول التي أقترحها توسعة الجامعات القائمة أو انشاء جامعات جديدة ، أو انشاء كليات متوسطة ، « Junior Colleges » ورفع مرتبات الفنيين لتشجيع الطلاب على الالتحاق بها .

الأستاذ سعد الحصين : أقترح أيضا إعادة النظر في نظام القبول في الجامعات .

د. بكر عبد الله بن بكر : أرجو ألا نحاول تخفيض المستوى التعليمي في الجامعات . أما فكرة الأستاذ الجهني المتعلقة بالدراسات المسائية فهي فكرة ممتازة جديرة بالدراسة والمناقشة .

المختلفة على نحو يحقق الأهداف المتوخاة . قد يكون التضخم ناشئا عن ظاهرة نفسية محضة تلخص في أن الكثيرين من أبنائنا الخريجين يتطلعون الى احتلال المراكز الرئاسية فقط . وهذا ما يؤدي على المدى الطويل الى خلق فجوات في تركيبنا الاقتصادي الذي نتوخى المتانة فيه عن طريق ايجاد القوى العاملة المؤهلة من مختلف المستويات والكفاءات .

الأستاذ محمد الخليفة : كنا نقاش مسألة ايجاد القوى العاملة التي تدخل في عملية الانتاج ، ولكننا لم نتطرق الى القوى العاملة الموجودة فعلا في قطاعاتنا المختلفة ، وكيفية رفع كفاءاتها . كما ذكر الأمير بندر بن عبد الله أن معهد الادارة العامة ينظم دورات تدريبية لموظفي الأجهزة الحكومية ، ولكن هل تقوم هذه الأجهزة بتقييم نتائج تلك الدورات عن طريق متابعة نشاطات الموظفين الذين التحقوا بها وعادوا لمزاولة أعمالهم ؟

الأمير فيصل بن عبد العزيز الفيصل : يحز في



## عرض: الأستاذ سليم واكيم

## تمهيد

اول قاموس سنة ١٨٩٨ ، و « لاروس » في فرنسا منذ مائة عام ونيف .

من هو ابن النديم ؟ انه ابو الفرج محمد

ابن ابي يعقوب اسحق النديم . وهو بغدادى ، يظن أنه كان وراقاً يبيع الكتب . وكان معتزلياً متشيعاً ، وقد عاش في القرن الرابع الهجري ، اي في العصر العباسي عصر بلوغ الثقافة الاسلامية الذروة في شتى العلوم ، وتوفي سنة ٤٣٨ هـ ( ١٠٤٧ م ) . وقد عرفنا به المؤرخ الكبير المقرئ احمد بن علي سنة ٨٢٤ ، ذلك المؤرخ الذي عاصر اجتياح فلول « هولاء » والتر وانكسار هؤلاء على يد المسلمين ، وأرخ هذه الحقبة ببراغ قلما شهد التاريخ الاسلامي نظيره . وقد طبع كتاب « الفهرست » ، للمرة الأولى في القاهرة ، نقلاً عن نسخة طبعها « جوستاف فلوجيل » في مدينة ليبزيغ الالمانية ، سنة ١٨٧٢ م . وفلوجيل هذا نقلها بدوره عن مخطوط انتقل مع معظم المخطوطات الاسلامية المكتوبة باللغة العربية الى اوربا . ثم طبع للمرة الثانية منقحاً على اكمل وجه في طهران على يد رضا بن علي بن زين العابدين الحائري المازنوراني ١٣٩١ هـ ( ١٩٧١ م ) .

وكتاب « الفهرست » ، او بالاحرى هذه الموسوعة ، قد فرضتها مستلزمات ذاك العصر الذهبي حيث عظم شأن العلماء وكثر التأليف والتصنيف في شتى ابواب المعرفة والعلوم ، وكثرت المكتبات العامة والخاصة ، فاشتدت الحاجة الى مجلدات تفهرس هذه الكتب ، وتدل على المؤلفين وما صنّفوه في مواضيع مختلفة ، ليسهل على الباحث ادراك مبتغاه في وقت وجيز ، فكان لفهرست ابن النديم الحظ الأوفر في سد هذه الحاجة وهو الكتاب الوحيد الذي لا يزال دليلاً مرشداً الى معرفة الكتب المؤلفة او المترجمة منذ البدء الحضاري من اواخر

كثيرون من الناس حتى المثقفون انفسهم يظنون ان اول من حقق الموسوعة المعروفة بالـ « Encyclopedia » هما « ديدرو - Diderot » و « دالمير - D'Alembert » الفرنسيان في القرن الثامن عشر ( ١٧٥١ - ١٧٦٥ ) . ربما كان هذا الظن معقولاً اذا اكتفينا بالمعلومات الحديثة وبما بعث من علوم وآثار في اوربا في اعقاب عصر النهضة . الا ان المطلعين يعرفون - ولا شك - كيف تطور علم الموسوعات او عملها ، اذا جاز التعبير ، وأن هذا التطور قد شمل آلاف السنين . نعرف من التاريخ ومن الوقائع البديهية ان الموسوعة هي كناية عن قاموس موسع يشمل على ما هو مفيد عادة من المعلومات ، او بالأحرى كناية عن فهرست يتناول الكلمات والافعال والاسماء والعلوم . واذا انطلقنا من اعتبار القاموس او « الفهرست » نواة للموسوعة ، نجد ان الانسان اكتشف اول قاموس في « نينوى » عاصمة آشور ( العراق ) ، ويعود تاريخه الى زمن « سنحريب » على الأرجح في القرن السابع . وكان القاموس محفوراً بالحروف المسماة على الآجر . وقد درج اليونانيون والرومان في العهد القديم على تصنيف القواميس ايضاً ، غير انهم حرصوا على الا تضم الا الكلمات الصعبة والجمل التي كانت تتطلب المزيد من الشرح والتفسير . وقد اعد بعضها لتفسير التعابير التي خلفها العصر الهومييري ، بينما اشتمل البعض الآخر على فن الطبخ . وهناك قاموس « زينودوتوس » الذي عني خصيصاً بأصوات الحيوانات . ولم تصدر قواميس جامعة يونانية او لاتينية الا في العصور الحديثة . وعلى سبيل المثال ، فقد صدر اول قاموس شامل في اللغة الانكليزية سنة ١٧٢١ اعده « ناتان بايلي - Bailey » بعنوان « The Universal Ethymological English Dict. » اما في اميركا ، فقد اصدر « وبستر - Webster »

القرن الرابع الهجري . لم يكن « ابن النديم » عالماً ولا فيلسوفاً ، انما كان وراقاً ، وعلى نصيب وافر من الثقافة والاطلاع . والوراقون اخبر الناس بالكتب واسماؤها وموادها ، لا سيما اذا ما توقّر الصبر والميل الى العلوم والثقافة ومعرفة قصصي الأخبار من مصادرها ومراجعتها . ويثبني من ترجمة المقرئ ان « ابن النديم » كان معاشراً للعلماء منذ سنة ٣٤٠ هـ . فأخذ على ما يبدو يجمع مواد كتابه حتى فرغ منه في عام ٣٧٧ للهجرة ، فقد ذكر في مقدمة كتابه « انه صنف سنة ٣٧٧ » ، وورد في موضع آخر منه « انه كتب سنة ٤١٢ » . وتفيد ترجمته انه توفي على حد قول المقرئ ، يوم الاربعاء لعشر من شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة للهجرة . وقال ابو طاهر الكرخي : « مات في شعبان سنة ثمان وثلاثين ( يعني واربعمائة ) ( ١ ) » .

وبالنظر لأهمية هذه الموسوعة فقد قام الدكتور « بايارد دودج » عميد الكلية الأميركية في بيروت سابقاً بترجمتها الى الانكليزية ابان وجوده في لبنان . وقد ضمت مجلدين ازدانا بالخواشي القيّمة . وقدّر للدكتور « بايارد دودج » ان يطلع على افضل مخطوطة لهذه الموسوعة وهي مخطوطة « جستر بيتي » التي تحمل رقم - ٣٣١٥ والموجودة في « دبلن » عاصمة ايرلنده الجنوبية . وهناك مخطوطة « شهيد علي باشا » رقم - ١٩٣٤ الموجودة في مكتبة السليمانية في استانبول . وكلتا المخطوطتين تشكل نسخة واحدة من الكتاب للتشابه القريب في القطع والخط وسائر المواصفات الأخرى ، وتحتوي مخطوطة « جستر بيتي » على المقالات الأربع الأولى ونبذة من أول المقالة الخامسة التي تطبع الى وقتنا هذا . وفي المقالة الأولى من الكتاب صفحات ممزقة ، وقد كانت هذه المخطوطة من اوقاف مدرسة جامع عكا بفلسطين اوقفها احمد الجزار على ان لا تخرج من



الجامع ، ولكن يد الزمن الفادرة امتدت اليها فأخرجتها منه .

**المخطوطات** مخطوطة شهيد علي باشا فتبدأ مباشرة بترجمة « الواسطي » أبي عبد الله محمد ابن زيد الواسطي « في الفن الأول من المقالة الخامسة وتمتد الى آخر المقالة العاشرة التي هي خاتمة الكتاب ، وعلى هذه النسخة تدوين يشير الى أنها ملك لرجل يسمى باسم « ولي الدين جارالله » ، وكذلك تدوين آخر للملك نصه : « تملك العبد الفقير الى عون الغفور الودود مسعود بن ابراهيم ابن امرالله بن عبد طورش غفر الله له ولأسلافه ورعي عنهم بالشراء الشرعي بمدينة قسطنطينية المحروسة » . ويقول في صفحة أخرى : « وقف هذا الكتاب لله ولي الدين جارالله بشرط الا يخرج من خزانه بناها بجانب جامع سلطان محمد بقسطنطينية » .

ويبدو جلياً من المجلد الاخير المطبوع في طهران ان ناشره ومحققه « رضا تجدد » قد قارن بين هذه المخطوطة الاخيرى وبين طبعة المستشرق « فلوجل » ، وقد بذل في سبيل ذلك جهوداً ضخمة جدية بالتقدير والعرفان .

وفي ضوء ما تقدم نستخلص ان معظم المخطوطات الاسلامية القيمة ما يزال محفوظاً في عدد من المكتبات الأجنبية في الغرب ، وتوجد بينها آثار قيمة لا تقدر بثمن ، وان المزيد من العلوم الانسانية التي وردت اخيراً من الحضارة الغربية لا بد وانها متأثرة بالثقافة الاسلامية . ومن تدوين التملك على المخطوطات يبدو لنا ان هذه المخطوطات وبينها « الفهرست » كانت ثمينة وموضع التقدير حتى أوقفها « احمد باشا اجزار » ، والي عكا ، للجامع وكذلك « ولي الدين جارالله » الذي أوقفها للجامع سلطان محمد .

ولم تقتصر ابحاث ابن الندم في « الفهرست » على كتاب وعلماء عصره وأترابه ، ولا على المسلمين وحسب ، وانما شملت كل من عني بالبراع والقرطاس من جميع الامم في كل الأزمنة ابتداء من الفينيقيين والمصريين واليونانيين واللاتين حتى العرب قبل الاسلام والاعاجم .

**مختوى فهرست ابن الندم**

قسم ابن الندم كتابه الى عشرة اجزاء وعقب على عبارة الجزء - الذي هو عنوان

رئيسي - عبارة مقالة . بما معناه انه قسم مجلده الى عشر مقالات ، ثم قسم المقالات الى فنون . وقد ضمن الجزء الأول ( او المقالة الأولى ) اخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين واسماء كتبهم .

واستهل ابن الندم كتابه بالبسملة وقال : « استعنت بالله الواحد القهار . النفوس ( اطل الله بقاء السيد الفاضل ) تشرب الى النتائج دون المقدمات ، وترتاح الى الغرض المقصود . دون التطويل في العبارات . فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات في صدر كتابنا هذا ان كانت دالة على ما قصدناه في تأليفه ان شاء الله ، فنقول وبالله نستعين ، وایاه نسأل الصلاة على جميع انبيائه وعباده المخلصين في طاعته . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

هذا فهرست كتب جميع الامم ، من العرب والعجم ، الموجود منها بلغة العرب في اصناف العلوم واخبار مصنفها ، وطبقات مؤلفيها ، وأنسابهم ، وتاريخ مولدهم ، ومبلغ اعمارهم ، واوقات وفاتهم ، واماكن بلدانهم ، ومناقبهم ، ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة » .

ويحوي الكتاب - كما أشرنا - عشر مقالات ، وتحوي المقالة الاولى ثلاثة فنون . الفن الأول يتضمن وصف لغات الامم من العرب والعجم ، ونعوت اقلها . وانواع خطوطها ، واشكال كتاباتها . والفن الثاني يتضمن اسماء كتب الشرائع المتزلة ، كما يذكره الاسلام ، ومذاهب اهلها . والفن الثالث نعت الكتاب الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » تنزيل من حكيم حميد » ، واسماء الكتب المصنفة في علومه ، واخبار القراء واسماء رواهم والشواذ من قرائتهم .

اما المقالة الثانية أي الجزء الثاني ، فتشمل ثلاثة فنون في النحويين واللغويين . ويتضمن الفن الأول ابتداء النحو واخبار النحويين البصريين وفصحاء الأعراب ، واسماء كتبهم . ويتحدث الفن الثاني في اخبار النحويين واللغويين من الكوفيين واسماء كتبهم . اما الفن الثالث فيروي ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبيين واسماء كتبهم .

وتحدث عن « نطقه » في الفن الثالث قائلاً : « انه ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عسرة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب العتكي الأزدي . مولده سنة اربع واربعين ومائتين . وكان طاهر الأخلاق ، حسن المجالسة . وخط المذهبيين . وكان مجلسه في مسجد الانباريين بالغدوات . وتوفي في صفر لست خلون منه ، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . ودفن ثاني يوم موته بباب الكوفة وصلى عليه ابن البوبهاري ( الرباهري ) . وله من الكتب : كتاب التاريخ ، وكتاب الاقتصارات ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب المقنع في النحو ، وكتاب الاستيفاء في الشروط ، وكتاب الأمثال ، وكتاب الشهادات ، وكتاب القوافي والرد على من زعم ان العرب تشتق الكلام بعضهم من بعض ، وكتاب الرد على من قال بخلق القرآن ، وكتاب الرد على المفضل في نقضه على الخليل ، وكتاب الملح ، وكتاب المصادر ، وكتاب في ان العرب تتكلم طبعاً لا تعلماً » .

ويحتوي الجزء الثالث او المقالة الثالثة على ثلاثة فنون في الاخبار والآداب والسير والانساب . فالفن الأول يتضمن اخبار الاخباريين والرواة والنسائين واصحاب السير والأحداث ، وأسماء كتبهم . والفن الثاني يروي أخبار الملوك والكتاب والمترسلين ، وعمال الخراج واصحاب الدواوين واسماء كتبهم . اما الفن الثالث ، فيشمل اخبار الندماء والجلساء ( والأدباء ) والمغنين والمضحكين واسماء كتبهم .

لنر ماذا يقول في الفن الثاني من هذا الجزء في ابن المقفع رداً على الجدل الادبي الذي اثير في الصحافة العربية مؤخراً حول الادب الكبير والادب الصغير . « اخبار عبدالله بن المقفع ، واسمه بالفارسية روزبه . وهو عبدالله بن المقفع ويكنى قبل اسلامه ابا عمرو ، فلما اسلم اكتفى بأبي محمد ، والمقفع بن المبارك وانما تقفع لان الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة في مال احتجزه من مال السلطان ، ضرباً مبرحاً ، فتفقت يده . وأصله من خوز مدينة من كور في فارس . وكان يكتب اولاً لداود بن عمر بن هيرة ، ثم كتب لعيسى بن علي ، على كرمان . وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة ، كاتباً شاعراً فصيحاً . وهو الذي عمل شرط عبدالله بن علي ، على المنصور وتصبغ في



الاحتياط فيه فأحفظ ذلك أبا جعفر فلما قتله سفيان بن معاوية وقع ذلك من المنصور بالموافق، فلم يطلب بثأره، وظل دمه. وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطرباً باللغتين فصيحاً بهما. وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها: كتاب «خدا نامه» في السير، وكتاب «آئين نامه» في الآين، وكتاب «كليلة ودمنة»، وكتاب «مزدك»، وكتاب «التاج في سيرة أنوشروان»، وكتاب «الأدب الكبير» وكتاب «الأدب الصغير»، وكتاب «التيمة في الرسائل» (كتاب رسائله، كتاب جوامع كليلة ودمنة، كتاب رسالته في الصحابة).

**م** خصص ابن النديم الجزء الرابع - المقالة الرابعة - للشعر والشعراء. وضمن الفن الأول منها طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين المخضمين، وضاعت دواوينهم، وأسماء روايتهم. وضمن الفن الثاني طبقات الشعراء الإسلاميين والشعراء المحدثين إلى عصره. ففي الفن الأول أشار إلى أسماء رواة القبائل وأشعار الشعراء الجاهليين والإسلاميين إلى أول دولة بني العباس. فبدأ بامرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى. وفند أسماء الشعراء الذين دون أبو سعيد السكري أشعارهم، والكميت، وذو الرمة، والمتنجم بن نيهان، والعجاج، والراجز، وروبة بن العجاج. والأخطل، والفرزدق، ونقائض جرير والفرزدق، وأسماء من ناقض جريراً وناقضه جرير، وأسماء ولد جرير من الشعراء وولد ولده، وأسماء القبائل التي دونها السكري، كما أشار إلى بعض أشعار الشعراء.

أما في الفن الثاني، فقد ذكر فيه أشهر شعراء العرب في الإسلام، والذين أشعروا بالعربية من أعاجم.

وتحدث ابن النديم في الجزء الخامس أي في المقالة الخامسة، عن الكلام والمتكلمين. وقسم هذا الجزء إلى خمسة فصول. تضمن الفن الأول ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم. بينما عني الفن الثاني بأخبار متكلمي الشيعة المختلفة وأسماء كتبهم. وتناول الفن الثالث أخبار متكلمي المجبرة والخشوية (٢) وأسماء كتبهم، والفن الرابع أخبار متكلمي الخوارج وأصنافهم.

وأسماء كتبهم. أما الفن الخامس. فقد روى فيه أخبار السباح والزهاد والعباد والمتصوفة والمتكلمين على الوسواس والخطرات وأسماء كتبهم.

وخصص ابن النديم الجزء السادس أي المقالة السادسة، للفقه والفقهاء والمحدثين. وقسمه إلى ثمانية أقسام. ففي القسم الأول، روى عن أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم. وفي الثاني تحدث عن أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم. وفي القسم الثالث تناول أخبار الإمام الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم. والقسم الرابع تضمن أخبار داود وأصحابه، وأسماء كتبهم. وفي القسم الخامس تحدث عن أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم، وفي القسم السادس روى أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين وأسماء كتبهم. وفي القسم السابع تحدث عن أخبار أبي جعفر الطبري وأصحابه وأسماء كتبهم. أما في القسم الثامن، فقد شمل أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم.

**ل** الجزء السابع، أي المقالة السابعة، فقد شمل الفلسفة والعلوم القديمة، وكان معظمه من نصيب اليونانيين والرومان. فقد قسمه إلى ثلاثة فصول. الفن الأول وقد تضمن أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم ونقولاتهم وشروحهم والموجودة منها وما ذكر ولم يوجد وما وجد ثم عدم. والفن الثاني تضمن أخبار أصحاب التعليم، المهندسين والرياضيين والموسيقين والحساب وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات. أما الفن الثالث فقد تحدث عن ابتداء الطب وأخبار المتطببين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ونقولاتهم وتفاسيرها. ويتحدث في هذا الجزء عن أقليدس

فيقول: «إن أقليدس صاحب «جومطريا - Geometria» ومعناها الهندسة. وهو أقليدس ابن نوطرس بن برنيقس، المظهر للهندسة، المبرز فيها، أقدم من أرخميدس وغيره، وهو من الفلاسفة الرياضيين»، غير أن ابن النديم فاته الإشارة إلى أن أقليدس كان فينيقياً. ونسب إليه كونه رومياً، وهذا يخالف الواقع ورواية الكتب اليونانية التاريخية القديمة. وذكر أيضاً في هذا الباب أرخميدس، وإسقلابوس، وأبولونيوس، وهوميروس، وأطوقوس، ومناولاس، وبطليموس،

وأطولوقس، ودورتيوش، وثاون الاسكندراني وفاليس الرومي، وتيودوروس وغيرهم. ثم عرج على المسلمين من عرب وأعاجم.

أما الفن الثالث فقد حصر معظمه في الطب والأطباء، وأشار إلى أبقراط وجالينوس وأفلاطون، ثم عرج على حنين وقسطا، ويوحنا بن ماسويه، وبختيشوع، ومسيح الدمشقي، وسابور بن سهل، وأسحن بن حنين، والرازي، وأبو الحسن الحراني وغيرهم من الأطباء والعلماء. أما الجزء الثامن، أي المقالة الثامنة، فهو الجزء الأكثر إثارة في الموسوعة، فيتحدث ابن النديم في فنه الأول المكرس لأخبار المسافرين والمخرفين عن أسماء الفرس وأسماء الكتب التي ألحقها الفرس في السير والاسمار، وأسماء كتب الهند في الخرافات والاسمار والأحاديث، وأسماء كتب الروم في الاسمار والتواريخ، وأسماء كتب ملوك بابل وغيرهم من ملوك الطوائف، وأسماء العشاق الذين عشقوا في عصري الجاهلية والإسلام، وأسماء العشاق من سائر الناس وغيرهم.

وتحدث ابن النديم في الجزء التاسع، أي المقالة التاسعة، عن المذاهب والاعتقادات. وقسم هذا الجزء إلى قسمين. ففي القسم الأول تطرق إلى وصف «مذاهب الحارثية الكلديين المعروفين في عصره بالصابئة، ومذاهب الثنوية من المتانية والديصانية والحزمية والمريونية والمزدكية وغيرهم وأسماء كتبهم. أما في القسم الثاني، فقد وصف فيه المذاهب الغربية الطريفة كمذاهب الهند والصين وغيرهم من أجناس الأمم. ثم ختم ابن النديم فهرسه بالجزء العاشر الذي تضمن أخباراً عن الكيميائيين الصناع من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم.

## خاتمة

لقد كانت جهود ابن النديم ضخمة بالفعل في إعداد فهرسه القيم الذي أفاد منه الغرب قبل أن تفقد منه نحن والذي مضى عليه الآن نحو ألف عام. وقد بلغ عدد صفحاته خمسمائة صفحة من الحجم الكبير اشتملت على (٢٧٩) اسماً من أسماء الكتاب وما صنفوا من كتب ومؤلفات كما اشتملت أيضاً على ٣٢٤٥ اسماً من أسماء الكتاب والأعلام الذي جاء على ذكرهم في فهرسه

سليم واكيم - بيروت



# القهوة ..

## عنوان الضيافة العربية

أنا الحبيب الشمر  
وأنتي في الفن اجين  
وأنتي في الساع في الصائم

يقدر على المرء أن يتصور الشرق العربي بدون تلك الرائحة الذكية المنبعثة من حب القهوة وهو يحمص وبدون تلك الايقاعات الموسيقية العذبة الصادرة عن مدقة تحركها يد صناع وحس مرهف في أرجاء هاون نحاسي أو خشبي بغية سحن حبوب القهوة . تلك الرائحة العبقية وذلك الجرس الموسيقي الشجي هما دليل الحياة في سكون الصحراء . والقهوة ، التي يقدر احتساؤها زناد الفكر ، ويشهد الادراك الحسي ، ويزيد نفاذ البصيرة ، ويضاعف القدرة على الفهم ليست قديمة عهد . فقد دخلت حياة شعوب الشرق الأوسط منذ قرون قليلة . أما الغرب فقد عرفها بعد أن احتك بالشرق في عصر الامبراطورية العثمانية . ومن ثم انتشر استعمالها في كل صقع حتى لقد غدت حاجة ضرورية قلما يخلو منها بيت . وهي في الشرق ، حيث يعتمد جل أهله في كسب الرزق على أساليب بارعة تم عن فطنة وذكاء بالغين ، على حد تعبير الكاتب «بول لندي» Paul Lunde ، تعتبر مادة أساسية لا تكتسب المعاملات الانسانية مفعولا مالم تتخللها فناجين القهوة . وتاريخ القهوة يكتنفه بعض الغموض ، واول ذكر لها يرجع الى اوائل القرن السادس عشر . وتكاد تجميع المصادر التاريخية على ان الفضل في اكتشافها ، يعود الى العرب ، حتى أن كلمة « قهوة » العربية مستعملة الآن في







رسم تخيله الفنان للشايخ الشاذلي وهو يطارد ماعزه التي ترقص جدى بعد أن أكلت من شجرة البن .

جميع اللغات مع تعديل بسيط في لفظها .  
والقهوة في معاجم اللغة تعني اللبن المحض أو  
الرائحة . والفعل من لفظها « يقهي » أي يذهب  
بشهوة الطعام .

اكتشاف القهوة لا تخلو من طرفة  
لعبت فيها الصدفة دوراً عجيبيّاً .  
فبينما كان أحد الرعاة العرب من اليمن ، ولعله  
« الشيخ الشاذلي » في بعض المصادر ، يسرح قطع  
ماعز في سفوح مرتفعات « كافيا » في بلاد  
الحبشة ، لاحظ أن أمعزه تطفر وترج وتنب  
بشكل لم يعهده فيها من قبل ، مما أثار فضوله .  
ولما اقترب منها رأى أنها تقتات ثمار شجرة لم  
يسبق له أن عرفها . فالتقط قليلاً منها وعلكها  
بين أسنانه فوجدها مرة المذاق ، فعمد إلى غلبها  
بالماء ثم جرع الشراب الناتج عنها ، فكان ذلك  
أول فنجان قهوة في التاريخ . ومع أن ذلك  
الشراب لم يكن مستساغاً ، إلا أنه أضفى على  
الشيخ صفاء الذهن ، وحدة التفكير ، وبقطة  
الحواس . فما كان منه إلا أن أخذ بعض حبوب  
تلك الشجرة لدى عودته إلى اليمن ، ونثرها  
في أرضها الخصبة فنجحت نجاحاً كبيراً ،  
ومن ثم انتشرت زراعتها في جبال اليمن وأقبل  
الناس على شرب القهوة بعد أن حالف الحظ  
التجارب التي أجراها أحد المتحمسين لذلك  
الشراب ، إذ هداه تفكيره إلى تحميمها وسحنها  
ثم غلبها بالماء ، وبذلك تم له شراب سائغ لم  
يلبث أن نفّس بين الناس وسرى في أوساطهم  
سريان النار في الهشيم . ومع أن عامة الناس  
اتخذوا من شراب القهوة دواء سهلاً في  
باديء الأمر ، إلا أنه لقي معارضة شديدة  
من المتزمتين . فكثّر الجدل حوله واختلف البعض  
في تصنيفه بين قائمة المشروبات المباحة أو  
المحظورة . وتشير المصادر التاريخية إلى أن  
مكة المكرمة كانت مسرح أول مؤتمر يعقد  
لمناقشة قضية فريدة من نوعها ، موضوعها القهوة  
التي أثار شربها بليلة كبيرة ، فانقسم الناس  
في أمرها بين مؤيد ومعارض . ولعل السبب  
المباشر الذي أوجب عقد مثل ذلك المؤتمر  
هو انتشار المقاهي في أحياء مكة المكرمة وتزايد  
عدد روادها وسهرهم إلى ساعة متأخرة من  
الليل ، الأمر الذي كان يسبب ازعاجاً كبيراً  
ليس للمصلين في المسجد الحرام فحسب ،  
بل لأهل مكة عامة . وقد تفاقم أمر تلك المقاهي  
لدرجة حدث بأحد ولاة مكة المكرمة من  
المماليك عام ١٥١١ م إلى الدعوة إلى مؤتمر

وقال : سيدي ، أنها القهوة ولا ضرر منها مطلقاً .  
فانفجر « خير بيك » صائحاً : أهذا يجعلك  
تنسى أبسط قواعد الآداب والسلوك وقد أصبحت  
ضابط صف ؟ والأنتكى من ذلك أنك تباشر  
بها بنفسك على جنودك وهم يقهقهون على مشهد  
من الكعبة المشرفة ! وهنا استدار « خير بيك »  
إلى حارسه وأمره أن يسير بأفراد الفرقة إلى الثكنة  
ويجلب كلاً منهم خمسين جلدة . أما « قرقماز »  
فقد حكم عليه بالفلقه والسجن . ثم أمر أحد  
جنوده أن يستدعي علماء المذاهب الإسلامية  
الأربعة في مكة المكرمة إلى قصر الحاكم صبيحة  
اليوم التالي . ولما حضروا طلب منهم أن يشكلوا  
لجنة خاصة لدراسة موضوع القهوة وإصدار  
فتوى بذلك تتخذ الحكومة حياله الإجراءات  
القانونية المناسبة . وفي اليوم التالي تألفت اللجنة  
من ١٥ رجلاً من القضاة البارزين والمفسرين  
ورجال القانون ، منهم عدد من القضاة  
المصريين والسوريين الذين اتفق وجودهم في  
مكة المكرمة آنذاك . وما أن التأم شملهم حتى  
دخل القاعة « خير بيك » يتبعه خادم يحمل  
صينية عليها ابريق وفنجان ، وضعها على منضدة  
ولما اختفى الخادم ، ران على المجلس صحت  
مطبق قطعه « خير بيك » قائلاً : هذه ، مشيراً  
بيده إلى الصينية ، هي القهوة ، وأطلب منكم  
أن تقرروا فيما إذا كانت ممنوعة أو مباحة من  
الناحية الشرعية . ولم يلبث أن غادر المكان

يبحث المشكلة من أساسها لأنه لم يعد في  
الامكان تجاهل آثارها . ويروى أن ذلك  
الوالي ، واسمه « خير بيك » في بعض المصادر  
التاريخية ، كان عائداً من الحرم إلى قصره  
بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة . وكان من عادته  
أن يعود إلى القصر ماشياً لينعم بالجو الرائع الذي  
تضفيه على مكة المكرمة سماء صافية الأديم  
ونجوم متألقة ، وصباح خافتة الأنوار معلقة  
في الشوارع ، وسكون شامل يلف أحياء مكة  
وطرقاتها . في تلك الليلة تلكأ « خير بيك » في  
سيره مأخوذاً بقدسية المكان وهيئته الدينية ،  
وخطر له أن يمر بقائد الحرس مروراً عابراً ليلقي  
إليه ببعض التعليمات . وأثناء سيره طرقت أسماعه  
قهقهات عالية بددت السكون وعكّرت صفو  
المكان . فلما نظر باتجاه مصدر تلك القهقهات  
ترأّت له أشباح جماعة مؤلفة من نحو خمسة  
عشر رجلاً تحلقوا حول كانون متوهج .  
فسارع الخطو يتبعه حرسه ليرى من بلغت به  
الجرأة لتعكير ذلك السكون الشامل ، ولما دنا  
منهم رأهم يمررون عليهم فنجاناً يملأونه من  
ابريق موضوع فوق نار الكانون . وكم كانت  
دهشته كبيرة عندما رأى ضابط الحامية الرقيب  
« قرقماز » ينزع ذلك الفنجان الصغير من  
الابريق ويدور به على أفراد فرقته . فبادره  
بقوله والشرر يتطاير من عينيه : ما هذا الذي  
تشربه أيها الرقيب ؟ فوقف الضابط منتصباً



ليتيح للجنة بحث الأمر وإصدار قرار بذلك .  
كان أول ما ناقشه أعضاء اللجنة العواقب السيئة  
التي تنجم عن شرب القهوة في الأمكنة العامة  
وما يصحب ذلك من مظاهر اللهو ، مما يعتبر  
سلوكاً لا أخلاقياً ، وقد شجبت اللجنة بالاجماع  
ذلك السلوك باعتباره أمراً لا يتفق ومبادئ  
الشريعة الإسلامية . وعندما انتقل أعضاء اللجنة  
الى موضوع شرب القهوة احتدم النقاش وظهر  
الانقسام جلياً بينهم . فالفسرون المزمعون  
رأوا تحريم شرب القهوة على ذلك المنوال . أما  
المتسامحون والمتساهلون في التزام السنن ، وكانوا  
الأغلبية في اللجنة ، فلم يروا في شربها ما يتعارض  
مع ما حرمه الله ، خاصة اذا روعي في شربها  
الاحتشام والأدب ، ودعموا حججهم بأن  
القهوة لا تذهب بعقل شاربيها . وانقض المجلس  
دون التوصل الى قرار قاطع . ولما علم « خيربك »  
ان اللجنة وصلت الى طريق مسدود استدعى  
أطباء مكة البارزين ليدلوا بأرائهم فيما يتعلق  
بخواص القهوة وآثارها الطبية على الجسم .  
غير ان الأطباء زادوا الأمر تعقيداً ، حين قرر  
الغالبية أنها سبئة ، أما الأقلية فأعلنوا انه لا  
ضرر منها . ولم يسع « خيربك » ازاء تلك  
التقارير المتناقضة ، الا أن أصدر باغلاق جميع  
المقاهي في مكة المكرمة وإيداع اصحابها في  
السجن كما صادر القهوة في المحلات التجارية  
وأحرقها ، ومنع التجارة بها . ولما دالت دولة  
المماليك ، وتسلم العثمانيون مقاليد الأمور ،  
تجاهلوا قرارات « خيربك » بشأن القهوة .  
تمض بضع سنوات حتى أقبل الناس  
من جديد على شربها وخاصة في  
الشام ومصر وأخذت المقاهي تنتشر في دمشق  
وحلب والقاهرة . ثم انتقلت بعد ذلك الى  
استانبول عاصمة السلاطين العثمانيين عندما قام  
أحد أبناء مدينة حلب عام ١٥٥٤ م بافتتاح  
أول مقهى فيها أثناء حكم السلطان « سليمان  
القانوني » . وقد لاقى ذلك المقهى أرضاً خصبة  
في استانبول انتشرت على أثره المقاهي فيها وأخذ  
يرتادها المثقفون من شعراء وكتاب وأدباء ،  
حتى لقد أطلق عليها « مكاتب العرفان » .  
وإزداد الاقبال على ارتياد المقاهي للدرجة ازعجت  
الحكومة العثمانية ، فكان أن فرضت على القهوة  
ضرائب فادحة باعتبارها سلعة كمالية ، وبذلك  
ضمنت دخلاً للدولة .

أما الغرب فلم يعرف القهوة الا في اواخر  
القرن السابع عشر على يد رجل يدعى « فرانزا



المهاون

وعاد من حيث أتى يحمل الى المدينة المنكوبة ما  
يبعث على الأمل . واعتراضاً بالجميل ففتح سكان  
المدينة مبلغاً من المال ومنحوه حق المواطنة  
وامتيازاً خاصاً بممارسة الأعمال التجارية في  
المدينة . وجاء جيش الحلفاء ، وتمكن من  
فك الحصار عن المدينة ودحر الجيش العثماني .  
وكان من الغنائم التي غنمها جيش الحلفاء  
٥٠٠ كيس مملوءة بحبوب غريبة تنبعث منها  
رائحة ذكية لم يسبق لأحد أن رآها . وثار الجدل  
حول ماهيتها وماذا يفعلون بها ، حتى أنهم  
قرروا أخيراً طرحها في نهر الدانوب . وهنا  
ظهر فجأة « كولشتركي » ، وهاله ما اقدم  
على فعله مواطنوه ، فطلب منهم أن يأخذ تلك  
الأكياس ، فقدموها له عن طيب خاطر .  
وسرعان ما افتتح « كولشتركي » أول مقهى  
في أوروبا . ومع ان زبائنه ابدوا شيئاً من التأفف  
لدى شربها على الطريقة التركية الثقيلة ، الا  
انه استطاع بعد تجارب مختلفة تحضير قهوة  
مستساغة ذات نكهة طيبة بعد تخفيف حداثها  
بقطرات من اللبن يضيفها اليها وتقديمها في  
فناجين كبيرة . ولم يقتصر الأمر على ذلك ،  
بل طلب من خباز ان يصنع له اقراصاً صغيرة  
محللة يقدمها مع فنجان القهوة ، وهي العادة  
التي ما زالت جارية في بعض الأوساط الغربية  
والشرقية ، ولا سيما في الصباح . وبذلك  
استعاد « كولشتركي » زبائنه وازدحم مقهاه  
بالوافدين الذين استمروا شربها على ذلك النحو .  
ومن ثم اخذت المقاهي تنتشر في البلدان الأوروبية .  
وقد لقي شرب القهوة في الغرب ما لاقاه شربها في  
الشرق من معارضة في بادىء الأمر ، لم تلبث  
ان اخذت تذوب شيئاً فشيئاً مع اقبال الناس

كانت مجالس القهوة العربية ولا زالت متدى يعبر عن تآلف القلوب وتبادل الأحاديث الودية .



مع اطلاق عام ١٧٧٧م نحو ١٩ مليون شجرة .

**وصف** المملكة العربية السعودية خاصة والجزيرة العربية عامة تحتل القهوة مكانة رفيعة باعتبارها عنوان الكرم والضيافة العربية ، فأني حلت تجد مضيفاً طلق المحيا يسارع الى تقديم القهوة اليك بين عبارات الترحيب الحار والاستقبال النادر . في البادية يحرص البدوي على اقتناء القهوة ودلاها الصفراء اللامعة وأدواتها الملازمة لها . كالمحماس والمنفاخ والنجر « الهاون » والمهباش « يد » الهاون » ، اصف الى ذلك جمر شجر الأروطى او الغضا او السمر الذي يتأجج في الوجار (١) ، والعربي في بوادي المملكة في سبيل اكرام ضيفه ، يقطع الفيافي والقفار ويتحمل المشاق والعنت لبيتاع البن في المدينة ، ويحافظ عليه حفاظه على اعز الأشياء لديه ، كل ذلك ليقرض ضيفه اذا ما داهمه في مجاهل الصحراء . اما الحضري في المملكة قبل ان تطفئ الحضارة الحديثة بوسائلها المستحدثة على مراسيم القهوة وأدواتها التقليدية ، فانه يخصص في منزله حجرة خاصة يطلق عليها « القهوة » ، وهي المجلس الذي يستقبل فيه ضيوفه . ويبالغ الرجل في ان تبدو « قهوته » في ابهى حلة واجمل منظر . فالبسط الفاخرة والزرايب المزركشة تغطي ارضها ، والارائك ذات المرايا الصغيرة تنتشر في جنباتها ، والكمرة قد صفت على رفوفها الدلال الصفر اللامعة وابريق الشاي من كل حجم وشكل ، و « البيئات » غصت بالبن والشاي والهبل والزعفران والمسمار والعود والنند . وخير من تناول موضوع القهوة من جميع اطرافه الاديب السعودي اللاحق



كانت المقاهي شبه منتديات عامة يجتمع فيها الناس ويرتشفون القهوة ذات النكهة الطيبة .

العالم الحديد تلك المغامرة الفذة التي قام بها ضابط فرنسي شاب في البحرية يدعى « غابرييل ماثيو دي كليو » ، وكان قد عين قائداً للمشاة في جزر « المارتينيك » . لقد بلغ اسماع « دي كليو » النجاح الباهر الذي حققه الهولنديون في نقلهم شجرة البن من جنوب الجزيرة العربية الى جزر الهند الشرقية ، فصمم على ان يحلوا حلومهم في نقل تلك الشجرة الى جزر المارتينيك شجعه على ذلك تشابه الخصائص المناخية بين المنطقتين . وحدث ان قام عام ١٧٢٠ م بزيارة الى باريس في عهد لويس الخامس عشر ملك فرنسا ، وكان قد علم من مصدر خاص ان لدى الملك بضع شجيرات بن فادرة امر بغرسها في بيت خاص في حديقة قصيرة . فتقدم من طبيب الملك الخاص ، يدفعه حماس وطني مضطرم ورغبة جامحة ، وطلب منه ان يتوسط لدى الملك لمنحه احدى تلك الشجيرات الثمينة . واجيب الى طلبه وحملها معه في مغامرة طويلة دامت نحو شهرين عبر المحيط الأطلسي متحدياً حملات القراصنة والعواصف البحرية الهوجاء وتناقص كمية الماء في السفينة لدرجة حدثت بقائد السفينة الى تقنين الماء ، الأمر الذي جعله يشرك الشجيرة الأثيرة لنفسه بالزور اليسير من الماء الذي كان يحصل عليه اثناء الرحلة الشاقة . وما ان وطئت قدماء ارض « المارتينيك » حتى غرس الشجيرة وتعهدها بعناية فائقة فنمت وترعرعت وازهرت وحملت الحبوب الزمردية التي يقال انها كانت اصل جميع اشجار البن في العالم الحديد ، وبلغت اشجار البن في « المارتينيك »

عليها . ومن اطرف ما يروى عن القهوة في اوروبا في سبيل صرف الناس عن شربها تلك الدعاية الألمانية التي روجها البعض من ان القهوة تورث العقم لدى النساء . فثارت ثائرة النساء على تلك الدعاية المغرضة ، وانبرى الموسيقار « باخ » ، على اثر ذلك فألف مقطوعة موسيقية تحكي قصة القهوة على نحو يحببها للجميع واطلق عليها اغنية القهوة « Coffee Cantata » ، فأحدثت صدى عميقاً في المجتمعات الأوروبية . وفي مرسلينا ، في فرنسا ، اعلن احد الأطباء البارزين ان الرجل اذا افراط في شرب القهوة فان ذلك يعوقه عن الوفاء بالتزاماته الزوجية ، فكان ان اغلقت مقاهي مرسلينا ابوابها .

**الرسالة** القارة الامريكية فقد عرفت القهوة في اواخر القرن السابع عشر وراحت تنتشر فيها المقاهي بشكل واسع في الثلث الأول من القرن الثامن عشر ولا سيما في المدن الكبيرة مثل نيويورك وبوسطن وفيلادلفيا . وتشير بعض المصادر التاريخية ان « مقهى التجار » الذي اقيم في نيويورك عام ١٧٣٧ م كان ملتقى الطبقة المثقفة ورجال القانون ، وفيه ولدت فكرة انشاء « الاتحاد الأمريكي » . وتزعم بعض المصادر ان الكابتن « جون سميث » مؤسس « فيرجينيا » كان اول رجل حمل بعض المعلومات عن القهوة الى امريكا ، وكان ذلك في سنة ١٦٠٧ م . ويعتقد ان المهاجرين الهولنديين حملوا معهم القهوة الى نيويورك واطلقوا عليها اسم « امستردام الجديدة » . ومن القصص الطريفة التي تروى حول نقل شجرة البن الى



الدلة والقنجان





أحد أبناء البادية يعد القهوة العربية قبيل وصول ضيوفه وقد ظهرت أمامه أدوات اعداد القهوة .

الاستاذ عبد العزيز بن محمد الأحيدب من  
ابناء بلدة « جلاجل » في منطقة سدير في  
كتابه « تحفة العقلاء في القهوة والثقلاء » فقد  
أوفى الموضوع حقه وأورد كثيراً من الأشعار  
العذبة التي قيلت في القهوة . فعن مكانة الوجار  
في النفوس يقول : « الوجار مرآة تعكس النبيل  
والشهامه في الرجل ، فانك لا تأتي لتشرب  
القهوة فحسب بل ولتحضر عملها ، فما ان ترن  
تحيتك في المكان حتى تسمع : شب يا ولد ،  
فيستدرك الزائر قائلاً : نكتفي بالبارزة ،  
فيقاطعه المضيف موجهاً الكلام للولد : لا بأس  
صب وشب . ولنسمع ما يقوله الاستاذ  
الأحيدب عن كيفية صنع القهوة العربية :  
« اما طريقة صنع القهوة العربية فتتلخص في غلي  
الماء مع البن المسحوق مضافاً اليه كيات كبيرة  
من حب الهال المجروش ، ثم يجري تخميره  
وتحضيره على طريقة خاصة . وعرب الجزيرة



تقدم الأقراص المحلاة مع القهوة الافرنجية تبعا للاسلوب الحديث في شربها .



تحميص البن وطنه بالآلة طريقة مستحدثة شقت طريقها الى البلاد العربية وهذه بعض الآلات الحديثة المنتشرة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

على نغمات الأشعار ووسوسة الجمر ، فهذا  
الامير احمد بن عبدالله السديري يقول :

وزراعة شجرة البن ، مع ما حققه شرب  
القهوة من نجاح وما لقيه من استحسان ،  
اخذت تتطور بسرعة هائلة فانتقلت زراعته من  
اليمن الى بلدان اخرى كثيرة اهمها البرازيل ،  
وجمايكا ، وكوبا ، وفنزويلا ، والمكسيك ،  
وكولومبيا ، وغيرها . والقهوة في هذه البلدان  
تشكل جزءاً كبيراً من دخلها الوطني . وليس  
ذلك فحسب بل ان القهوة اوجدت العمل  
للملايين من البشر ، سيما وان مؤسسات صناعية  
كبيرة تعتمد اليوم على هذه السلعة التجارية  
الرائجة في تأمين أرباح هائلة عبر تزويد الأسواق  
الاستهلاكية بأصناف عديدة من القهوة تعدها  
أيد خيرة

رامضان نصرالله - هيئة التحرير  
الرسم بريشة الفنان (إد . ديفز)

العربية يفاخرون الامم الأخرى بنكهة وعذوبة  
قهوتهم لخلوها من حلاوة السكر او اية تحلية  
اخرى . ثم يستطرد الاستاذ الاحيدب ليحدثنا  
عن طريقة تقديم القهوة العربية فيقول :  
« ولتقديم القهوة العربية ولشربها عادات وتقاليد  
محترمة ، لا يجوز لأحد ان يتجاوزها ، فهي  
اول ما يقدم للضيف ، ترحيباً وتكريماً اذ يتقدم  
الساقى ، حاملاً دلتة الصفراء الزاهية بيده  
اليسرى قابضاً بيده اليمنى على عدد من فناجين  
القهوة العربية المميزة ، فيصب للضيف او  
للضيوف ، رشفة صغيرة ، يحول كبر الفنجان  
فيها ، دون تأثر اصابع الضيف بسخونة الشراب .  
فاذا ارتشفها الضيف ، صب له الساقى رشفة  
اخرى ، ويظل يتابع الصب له ، حتى يهز  
الضيف فنجانه هزة صغيرة ، يتوقف بعدها  
الساقى عن الصب . . والا فيظل يصب » .  
والقهوة العربية في البوادي تزداد عذوبة

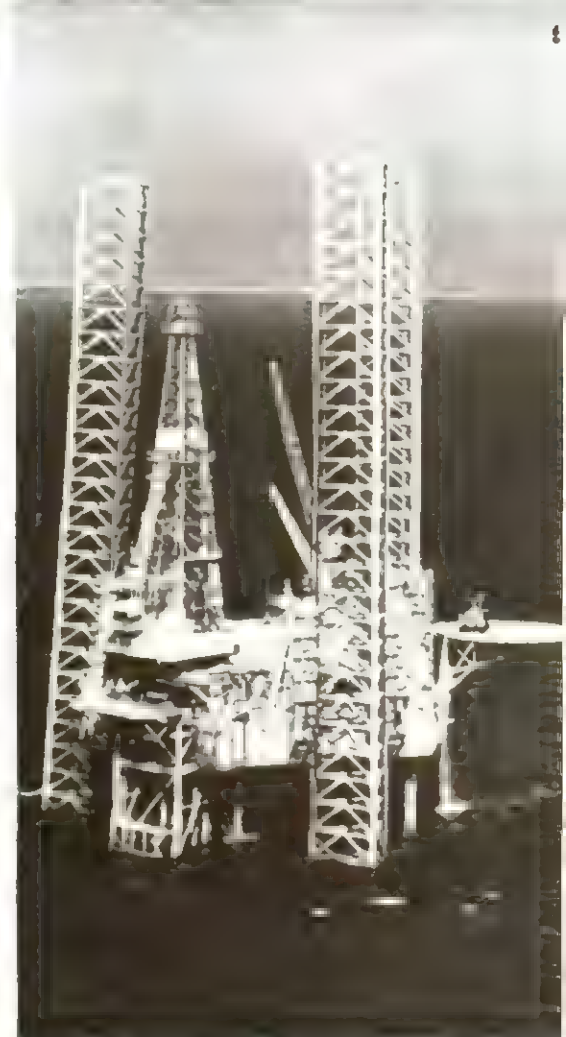
ويقول ايضاً :



# البحر حثيم عن الزيت في المناطق المغمورة..

على من الغصور وتماقب الحضارات ظلت دوافع سبر المجهول لدى الإنسان  
تُراوده. فذرع البحار وركب أهوالها بأحشا عن خيراتها  
المكنوزة الوفيرة ومنقباعن مواردها الخفية الغزيرة.. وسيبقى الإنسان هكذا  
دؤوباً في سفيه وكده، نشيطاً في بحشه وثقيبه ما واشته فكرة أو هداه تفكير.





فقد الإنسان ، منذ أواخر القرن الماضي في البحث عن ثروات البحار الطبيعية وأولها الزيت ، الذي يعتبر أهم مصدر للطاقة في عصرنا الحاضر ، وكذلك الغاز الطبيعي الذي غالباً ما يوجد مع الزيت .

ففي عام ١٨٩٤ بدأت أولى عمليات الحفر في المناطق المغمورة بحثاً عن الزيت ، وكان ذلك على مقربة من الفرض البحرية او ضمن الشواطئ ذات المياه الضحلة . والزيت ، كما تقول إحدى النظريات ، تكون من اطنان لا حصر لها من النباتات والحيوانات النافقة التي جرفتها السيول والأنهار منذ بدء الحياة المائية قبل ملايين السنين ، وترسبت في قاع المحيطات . وبتأثير الحرارة والضغط العالين ، تفاعلت هذه المواد وتحولت الى سائل او غاز يملأ مسامات الصخور الرسوبية وغدا شكل هذا السائل يتفاوت بين كونه ثقيلًا ذاكن اللون او خفيفًا فاتح اللون .

وحتى عام ١٩٤٧ لم تتجاوز عمليات حفر الآبار السواحل القريبة الضحلة ، غير انه في أواخر ذلك العام بديء بالحفر في مناطق بحرية تبعد حوالي (١٧) كيلومتراً عن الشاطئ في خليج المكسيك . ومع ان الحفر هناك كان يجري في مياه لا يتجاوز عمقها ١٨ قدماً الا ان عمليات حفر استكشافية كانت تجري في مياه يتجاوز عمقها ٩٠٠ قدم .

وللوصول الى الزيت في تلك الأعماق كان على رجال الحفر ان يمحروا تعديلات وتحسينات على





١ - خزان دبي رقم ١ - أثناء سحبه الى مكانه المعين في قاع الخليج العربي حيث تم تثبيته كخزان مغمور للزيت الخام يستوعب حوالي نصف مليون برميل

٢ - يستخدم رجال التنقيب في المناطق المغمورة اسطوانة من المطاط المقوى تحتوي على غاز ، وذلك لاجداث موجات صدمية يسجل صداها بالاجهزة المعدة لذلك في سفن التنقيب البحري . وهذا النوع من الاسطوانات لا يؤذي الكائنات البحرية .

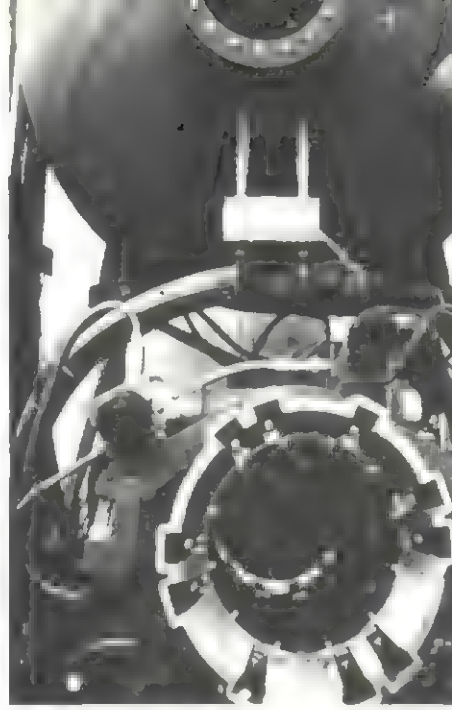


٣ - الناقلة «ديفز» التي تستخدمها أرامكو كخزان عائِم للزيت الخام في مياه الخليج العربي وتبلغ سعتها ١ ٨٠٠ ٠٠٠ برميل .

٤ - أحد خزانات الزيت الحديثة في قاع البحر وتبدو عل سطحه مجموعة من الاجهزة الخاصة بالانتاج .



منظر لآحدى سفن الحفر العاملة في المناطق المغمورة .



الجهاز الآلي «روبوت» يستخدم في صيانة واصلاح نموذج شبكة الانتاج المغمورة .

يسّرت الوسائل التقنية الحديثة حفر آبار استكشافية في مياه يصل عمقها الى ١٥٠٠ قدم . غير ان الاستكشاف لا يعدو ان يكون جزءاً فقط من مهمة رجال الزيت المتشعبة ، فما ان يتم اكتشاف الزيت او الغاز بكميات تجارية حتى يبدأ العمل في تطوير الآبار واقامة ابراج ذات قواعد ثابتة في قاع البحر للبدء في اعمال الانتاج . وما هذه القواعد والابراج الضخمة التي نشاهدها اليوم الا بديلة لتلك المنصات الصغيرة التي تستعمل لانتاج الزيت في المياه الضحلة . وبواسطة بعض منصات الحفر المتطورة يستطيع رجال الزيت ان يحفروا اكثر من ٤٠ بشراً بزوايا منحرفة عن قاعدة البرج في قاع المحيط .

ومما يذكر ان المملكة العربية السعودية تمتلك اكبر حقل مغمور في العالم هو ، « السفانية » ويقع هذا الحقل في الخليج العربي ويتراوح عرضه بين ١٥ و ٢٥ كيلومتراً . وطوله بين ١٥٠ و ١٦٠ كيلومتراً ، ويقدر انتاجه بحوالي مليون برميل في اليوم الواحد ، ويبلغ متوسط عمق الآبار في هذا الحقل نحو ٥٠٠٠ قدم .

وتستخدم ارامكو لأعمال الحفر في هذا الحقل منصة حفر بحرية متنقلة ذات دعائم

بمنصته التي تعادل مساحتها مساحة ملعب لكرة القدم ، وتثبيتها في مكان الحفر ، تُنزل الخزانات العائمة والأعمدة التي تقوم عليها المنصة في ماء البحر حتى تغوص الى قدر كاف لتثبيت البرج . وبهذا تصبح وحدة الحفر كلها ثابتة متزنة في معظم الأحوال الجوية والبحرية . وزيادة في الحيلة ، تثبت الأبراج بشمانية او عشرة حبال معدنية قوية ، كل منها مربوط بمرساة في قاع البحر تزن حوالي اربعة عشر طناً .

وقد ابتكر خبراء الحفر في المناطق المغمورة اسلوباً آخر لتثبيت منصات الحفر ينتظر ان يكون له دور رئيسي في الحفر في المياه العميقة . ويقضي هذا الأسلوب باستخدام عدد من الرفاصات ، تحت هيكل منصة الحفر العادية او شبه الغائصة ، يمكن تحويلها الى مختلف الاتجاهات فتكسب المنصة قدرة اكبر على مقاومة العواصف والرياح والتيارات المائية الشديدة التي قد تبعدها عن فوهة البئر . وتوجه هذه الرفاصات بجهاز خاص على المنصة يعدّل وضعه باشارات يتلقاها من جهاز تحذيري مثبت على رأس البئر في قاع البحر . وبجهاز التعديل هذا ، يقرر رجال الحفر قدرتهم على البقاء ثابتين في موقعهم .

بعض الأحيان ينشد الجيولوجيون ، العاملون على مراكب التنقيب ، معلومات تكميلية لاحدى للمناطق التي تبشر باحتمال وجود الزيت فيها ، وذلك بالحفر في الطبقات العليا من الصخور الرسوبية . وغالباً ما يكشف تحليل تلك المعلومات ما اذا كانت هناك احوال وظروف ملائمة لوجود مواد هيدروكربونية بكميات تجارية على عمق آلاف من الأقدام . ومع ذلك ، وبعد القيام بكل هذه الخطوات تظل البئر الاستكشافية هي الطريقة الوحيدة للتأكد من وجود الزيت بكميات تجارية .

وفي العادة ، تكون منصات الحفر البحرية التي تحمل الأبراج متنقلة حيث ان بعض الآبار الاستكشافية ، او اكثرها في بعض المناطق ، تكون جافة او لا قيمة تجارية تذكر لما يكتشف فيها من الزيت او الغاز .

وبتوقف نوع منصة الحفر البحرية المتنقلة على عمق المياه التي ستستخدم فيها . وهناك منصات للحفر مصممة خصيصاً للعمل في مناطق مغمورة يبلغ عمق الماء فيها حوالي ٣٠٠ قدم او اقل . وفي هذه الحالة تجر المنصة ، حاملة البرج ، الى مكان البئر المرغوب في حفها فتُنزل قوائمها ، او دعائمها التي تقوم عليها ثم تثبت بقوة في قاع البحر وبعد تثبيتها ترفع المنصة بحيث ترتفع عن مستوى الأمواج . ولدى اتمام الحفر تسحب منصة الحفر بكامل اجزائها الى مكان آخر لتواصل عملها بحثاً عن الزيت او الغاز .

ومنذ عام ١٩٥٠ اخذت منصات وابراج الحفر المستعملة في المناطق المغمورة تتطور وتزداد نظراً لازدياد الطلب على الزيت . وتشير الاحصاءات الى ان سدس حاجة العالم من الزيت يرد اليوم من المناطق المغمورة ، ومع نهاية العقد الحالي يصبح بإمكان العالم الحصول على ثلث حاجته من الزيت من مناطق بحرية . فبعد استكشاف وتطوير المناطق القليلة الغور سيتجه رجال الزيت الى مناطق اعظم وابعد عن الشواطئ الضحلة القريبة . وبالفعل اخذ رجال التنقيب في البحر يستعملون منصات عائمة لحفر آبار الزيت . كما امكن تطوير مراكب للحفر البحري لا تتأثر بالأحوال الجوية والبحرية في المناطق المراد التنقيب فيها .

ومن ابراج الحفر نوع شبه غائص وهو اثبت من غيره لأن تركيبه الشبكي اقل تعرضاً للأمواج عند ارتفاعها . وعند سحب هذا البرج



الى السطح داخل انبوب قائم يفرغ الزيت الخام في ناقلة راسية .

وباستعمال الاجهزة والمعدات الحديثة ستغذو عمليات انتاج الزيت من المناطق المغمورة شبيهة الى حد ما ، باعمال الفضاء . فبواسطة الاجهزة الالكترونية يمكن تشغيل وتعديل اعمال المرفق وكذلك فتح الصمامات ، أو اقفالها ، واعداد اجهزة السلامة والأمان لتقفل او توقف اي جزء من المرفق اذا ما تعطل ذلك الجزء .

ولبعض شبكات الانتاج المغمورة جهاز خاص يشبه الرجل الآلي ( روبوت ) يعمل حسب التعليمات التي يستقبلها . فعندما يحصل

المغمورة ، فكرة تدعو الى تصميم شبكة للانتاج تعمل في قاع البحر وتزن نحو ٦٠٠ طن .

**ومما** تجدر الاشارة اليه ان شبكة الانتاج المغمورة هذه يمكن التحكم فيها ومراقبتها من مركب او منصة بحرية قائمة فوقها او حتى من مرفق بعيد على اليابسة . كما يمكن لبرج الحفر القائم فوق سطح شبكة الانتاج المغمورة ان ينزل المثقب عبر عارضة فوق الشبكة ليحفر بئراً انتاجية اضافية اذا ما اريد ذلك . ومن البرر يتدفق الزيت عبر خطوط تجميع ، ثم يجري الى الشاطئ داخل خط انابيب مثبت في قاع البحر ، او يصعد

تثبت في قاع البحر ، وتستطيع هذه المنصة العمل في مياه يصل عمقها الى ٢٥٠ قدماً . هذا مع العلم بأن عمق المياه في حقل السفانية يصل الى نحو ١٢٠ قدماً .

وهذا النوع من المنصات شائع الاستعمال في معظم المناطق البحرية حيث يمكن سحب الواحدة منها كاملة بما في ذلك جهاز الحفر المثبت عليها . وفي العادة تكون سطوح هذه المنصات ملائمة لتثبيت برج الحفر والآلات الرافعة وحاملات الانابيب ومساكن العاملين عليها من عمال وفنيين . كما يمكن تخصيص مكان على سطحها لمبوط الطائرة العمودية « هيلوكبتر » التي قد تستخدم في التنقل بين هذه المنصة العائمة ومرافق الزيت الأخرى على اليابسة .

ومن حقول الزيت المغمورة التابعة للمملكة العربية السعودية علاوة على حقل السفانية حقول : « ابو سعفة » و « البري » و « منيفه » و « الظلوف » و « مرجان » .

يقول احد الخبراء في صدد حفر آبار الزيت في المناطق المغمورة : انه يجب ان تنتقل وسائل الحفر والانتاج المستخدمة حالياً في المناطق المغمورة ، من شكلها الحالي المتطور عن الوسائل المستخدمة على اليابسة ، الى وسائل تصمم اصلاً للعمل في المياه العميقة ، وهذا يحتاج الى وسائل تقنية غير هادية . ومن الأفكار الحديثة التي تدور حول الانتاج من المياه



أجهزة تصوير التلفزيونية مثبتة في قاع بحر تساعد المهندسين على قيام بأعمالهم سواء من ناحية سقيف أو الصيانة .

في مضيق «باس» الواقع بين استراليا وتسمانيا تقوم هذه المنصة الثابتة في مياه عمقها ٢٥٠ قدماً . وهي واحدة من خمس منصات تستخدم لانتاج الزيت والغاز من المناطق المغمورة .



الزيت الى ناقلة عائمة راسية على مقربة من الآبار ، تكون بمثابة الخزان حيث تفرغ حمولتها في الناقلات التي تحمل الزيت الى الأسواق البحر ، العالمية . والطريقة الأخرى تقوم على اساس بناء خزان ضخم ثابت على ارض يكون بمثابة مركز لتجميع الزيت المستخرج من الآبار ، فتأتي الناقلات اليه وتأخذ حمولتها منه .

**في** كلتا الحالتين : الناقلات العائمة او في الخزان المغمور ، يرتفع الزيت من قاع البحر الى السطح بواسطة انبوب عمودي مثبت بعوامات تحفظه عمودياً معتدلاً . وعلى السطح يُشد آخره بعوامة كبيرة تثبت في مكانها بحبال قوية مشدودة الى مراسي ضخمة . وبهذا الأسلوب يمكن انتاج الزيت من مناطق يصل عمق الماء فيها الى ١٥٠٠ قدم او اكثر من ذلك . اما في المناطق الأبعد غوراً فقد يكون هذا الأسلوب غير مجدي . ولذا قامت احدى شركات الزيت الكبرى بإجراء عمليات دقيقة استخدمت فيها الآلات الحاسبة الالكترونية سعياً وراء تصميم انبوب رافع للزيت يمكن استخدامه في مناطق يزيد عمق الماء فيها على نصف الميل ، اي ما يعادل ٢٦٤٠ قدماً .

لقد رافق انتاج الزيت من المناطق المغمورة الكثير من التطور والتجديد في المعدات والأجهزة . ففي دبي على الخليج العربي ، مثلاً ، أنزل الى قاع البحر قبل اربع سنوات خزان للزيت الخام يعتبر الأول من نوعه من حيث الحجم والتصميم . وفي الخليج العربي ايضاً تستعمل شركة الزيت العربية الامريكية ( ارامكو ) الناقلات ( ف . أ . ديفز ) كخزان عائم في المناطق المغمورة وذلك بعد ان تم تطويرها واعادتها للقيام بهذه المهمة . وعلى شواطئ المملكة العربية السعودية على الخليج العربي صارت فرض شحن الزيت تمتد عدة اميال في عرض البحر او تقام الجزر الاصطناعية حيث تكون المياه عميقة صالحة لرسو الناقلات العملاقة فتأخذ حمولتها من الزيت الخام بسهولة ويسر .

وما من شك في ان الأجهزة المتطورة والمعدات المتجددة والابتكارات والاختراعات الحديثة قد ساعدت رجال الزيت على البحث والتنقيب في التلال المغمورة بمياه المحيطات والتجاويف العميقة في قيعانها لاستخراج الزيت والغاز اللذين يعتبران من دعائم الحضارة واسس التقدم ■

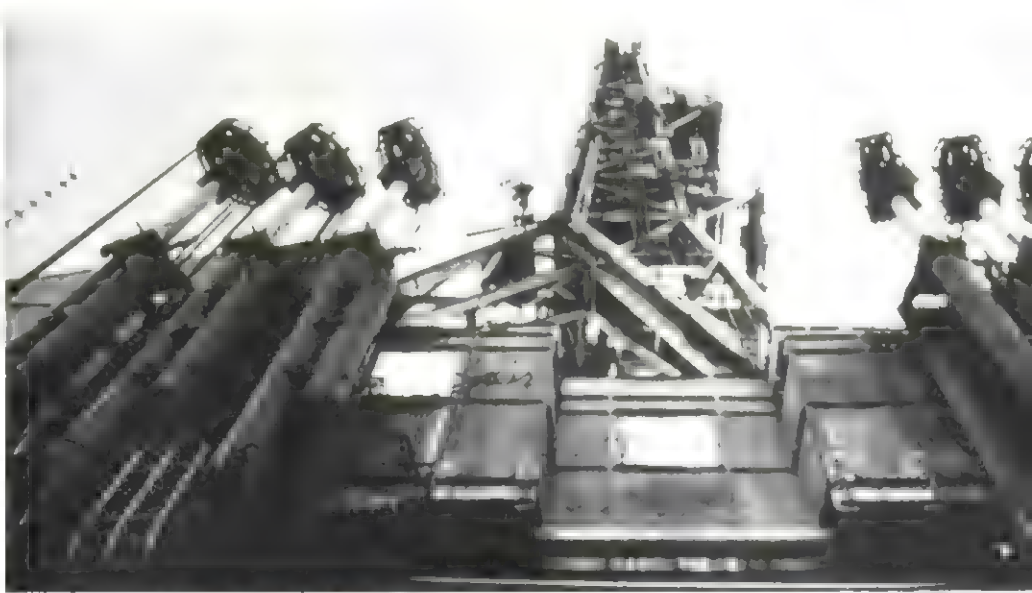
ابراهيم المرشدي - هيئة التحرير

من المناطق العميقة التي يتعذر على المنصات العائمة العمل فيها .

ان انتاج الزيت والغاز من المناطق المغمورة بالوسائل المذكورة آنفاً لا يوضع حداً لمهمة رجال الزيت ، اذ عليهم ان يوصلوا هذا الانتاج الى الشاطئ لمعالجته . وقد امكن مد انابيب للزيت على عمق ٣٧٠ قدماً في البحار الهادئة في السواحل الامريكية . لكن البحث عن الزيت في المنطقة البعيدة الغور ، يستلزم مد انابيب في بحار عميقة وهائجة الموج كذلك . ففي المياه ذات الأمواج العاتية في بحر الشمال وعلى مسافة من الشواطئ الاسترالية تتطلب اعمال مد

عطب ما ، ينزل هذا الجهاز ( روبوت ) الى قاع البحر ويوجه نحو مواطن العطب فيستبدل الجزء المعطوب بأخر صالح ثم تفحص العملية ويعاد الجهاز الى مقره في مركب الصيانة والتشغيل .

ويستطيع الفني الذي يعمل على مركب الصيانة الأنف الذكر ، ان يراقب اعمال هذا الجهاز ( روبوت ) من خلال آلات التصوير التلفزيونية المزودة بالاضاءة المسلطة للتأكد من سير مراحل عملية الاصلاح . وفي الحالات التي يعجز ( روبوت ) عن اصلاحها ينزل المختص الى مكان العطب ويصلحه بنفسه . ومن التطورات الجديدة المقترحة في هذا



تحافظ هذه الأذرع الست على معدل الشد الصحيح في أبراج الحفر البحرية .

الأنابيب معدات واجهزة ومراكب اقوى واضخم من تلك المستعملة في المناطق البحرية الأخرى . وما يذكر ان عمليات اعداد الأنابيب قبل انزالها الى البحر تتم على ظهر المراكب الخاصة بهذا النوع من العمل ، فيؤتى أولاً بأجزاء مغلقة من الأنابيب حيث يجري لحماها ، ثم فحصها بالأشعة السينية ، ثم تغليف موضع اللحام بمادة واقية ، وبعد ذلك ينزل الأنبوب ذو الوصلات الملحومة بلطف الى قاع البحر . وتقول احدى الشركات انه سيصبح بإمكانها ان تمد انبوباً مترابطاً في مياه يتجاوز عمقها ١٥٠٠ قدم . ومنذ بضع سنوات خلت ، كانت الأنابيب تحمل الزيت والغاز من الحقول المغمورة الى مرافق التصنيع على الشاطئ ، الأمر الذي كان يترتب عليه زيادة في تكاليف الانتاج . اما اليوم فهناك طريقتان اقتصاديتان لنقل انتاج الحقول المغمورة . احدهما تتم بنقل

الصدد ، تصميم شبكات انتاج مغمورة تعمل على عمق يبلغ ٣٠٠٠ قدم على ان تكون فوهة البئر داخل حجرة ذات ضغط هوائي معين . وعند حدوث اي عطب ، تنزل اليها غواصه تسع لاربعة اشخاص وترسو على الحجرة التي تضم اجزاء فوهة البئر ، فينزل الفنيون من الغواصة الى داخل الحجرة ويصلحون الخلل بأيديهم . وهناك مخططات اخرى ترمي الى تطوير شبكات انتاج جديدة لا تزال قيد البحث والتصميم . ومن اهم ما يعنى به المهندسون هو وقاية العاملين في الحقول المغمورة وكذلك المحافظة على الكائنات البحرية .

وعلى الرغم من التكاليف الباهظة والمتطلبات التقنية المتنوعة ، يعتبر المهندسون شبكات الانتاج الواسعة في المناطق المغمورة ، الطريقة المثلى في المستقبل القريب . فهذه الشبكات التي تثبت في قيعان البحار تساعد على انتاج الزيت



# «ستين» الصفير

بقلم: الفونس دودييه  
تعريب: فاضل السبايعي

«ستين» الأب ، ويجونه حياً جماً ، وقد أدركوا أن وراء شاربيه الخشنيين ، اللذين طالما أخافا الكلاب والمتسكعين على المقاعد ، تكمن ابتسامة ودود حنون ما أشبهها بابتسامة أم . ولم يكن على المرء ، من أجل أن يستمتع برواية هذه الابتسامة ، إلا أن يسأل الرجل الطيب :

— وكيف حال ابنك الصغير ؟

إلى هذا الحد كان «ستين» الأب مولعاً بطفله ! ويا لسعادته به عندما كان يوافيه ، عصر كل يوم ، في عودته من المدرسة ، فيترافقان معاً في نزهة عبر مسالك الحديقة ، متوقفين عند كل مقعد ، يستلمان على المتزهين ، ويردان على مجاملاتهم اللطيفة .

يدعى «ستين» . ستين الصغير . كان صبيًا من سوء باريس . هزيلًا . شاحب لوجه . يبدو وكأنه في العاشرة من عمره . أو لعله في الخامسة عشرة . فلأمر مع هؤلاء الصبية يصعب على التقدير . كانت أمه قد قضت نحبها . وأما أبوه — وهو حندي سابق في بحرية — فكان يعمل حارساً لحديقة عامة صغيرة في حي «الشمس» . والحق . أن الشيوخ . والخدمات . والعجائز المنقوصات الضهور . ولأمهات الفقيرات . ولاحتمصار البسطاء من أهالي باريس . الذين ينتحون — هرباً من العرود — إلى روضته المحصاة بالأرصفة . هؤلاء جميعاً كانوا يعرفون





أن ذلك كله قد تغير ، مع الأسف ، منذ ضرب « البروسيون » حصارهم على باريس ! فحديقة « ستين » الأب أغلقت في وجوه روادها ، وقد انقلبت الى مستودع للوقود ، توجب على المسكين ان يقوم بحراسته على نحو موصول .. فأخذ ينضي أيامه في هذه البقعة الموحشة ، وحيداً ، قلق الفكر ، غير متاح له أن ينعم بروية طفله الا في ساعة متأخرة من المساء لدى عودته الى البيت ... ولينك ترى ، في ذلك ، الى شاريه وهذا يرتعشان اذ يأتي على ذكر أعدائه « البروسيين » ! وأما « ستين » الصغير ، فلم يكن يشكو ، من هذه الحياة الجديدة !

الحصار ..

انه لشيء ممتع حقاً لدى الصبيان الأشقياء : فلا مدرسة ، ولا واجب يؤدونه ، بل هي اجازة ممتدة ، ينتشرون خلالها في الشارع ، فكانه بهم ساحة معرض !

أخذ الصبي يمضي ، سحابة نهاره خارج البيت . فهو يواكب كتائب الحي في انطلاقها الى متاريس الدفاع ، مؤثراً من الكتائب تلك التي تصاحبها موسيقى صادحة ، حتى لقد أمست لديه دراية بها ، فهو يحدثك ، بثقة بالغة ، عن أن موسيقى الكتيبة ٩٦ ليست بذات شأن ، وأما الكتيبة ٥٥ فان موسيقاها رائعة ! وفي أحيان ، يمضي وقتاً في التفرج على الحرس الوطني وهم يقومون بتمارينهم ! كما كانت هناك ، صفوف الانتظار ..

اجل فقد كان ينضم - وسلته في ذراعه - الى تلك الصفوف الطويلة التي تنتظم ، في عتمة الأصباح الشتوية ، أمام حواجز الأفران وحوائت القصايين ، حيث يجري التعارف بين الناس - فيما تغوص أقدامهم في مياه الأمطار - ويتحدثون في شؤون السياسة ، وبصفته ابن السيد « ستين » ، فان كلا منهم يطالبه بأبداء رأيه ! الا أن أكثر ما كان يستهويه « لعبة الغالوش » الشهيرة ، التي أتى بها جنود مقاطعة

« بريتونيا » معهم ، وأشاعوها بين الناس ابان الحصار . وهكذا فان « ستين » الصغير ، اذا لم يكن في معاقل الحرس الوطني ، ولا كان أمام الأفران ، فأنت اذن على يقين من أنك واجده في حلبة « الغالوش » ، في « ساحة شاتودو » . ولن تراه ، بطبيعة الحال ، مشاركاً في اللعب - فان ممارسة هذه اللعبة تقتضي مزيداً من النقود - ولكنه كان يستمتع بمتابعة اللاعبين بناظريه ، وحسب !

وانه ، في ذلك ، ليستحوذ على اعجابه لاعب منهم ، بعينه ، فارغ القامة ، ذو ستر زرقاء ، ما كان يأتي الا بالقطع النقدية من ذات المئة ، وحينما يهرول ، تسمع وسوسة النقود من أعماق جيوب سترته !

وتدحرجت ، ذات يوم ، قطعة نقدية ، لتستقر بين قدميه . فأنحنى ليلقطها ... فاذا الفتى الفارع القامة ، يخاطبه بصوت خفيض : - هيه ! أراها قد حولت عينيك ! طيب ، اذا شئت ، أسررت لك من أين يؤتى بمثلها ! حتى اذا انتهت المباراة ، انتحى به ركناً من اركان الساحة ، وزين له ان يرافقه الى حيث يبيعان الجرائد للبروسيين : فالرحلة الواحدة تدرّ ثلاثين فرنكاً !

أن « ستين » يعلن ، للوهلة الأولى ، رفضه **رشد** وهو في سورة غضب . ثم يلبث ثلاثة أيام لا يحضر المباريات .. ثلاثة أيام رهيبه ، لم يطعم فيها زاداً ، لا ، ولا عرف جفنه معنى الرقاد . وفي الليل ، كانت تراءى له أكوام الغالوش متكدسة عند قدمي سريره ، والنقود من ذوات المئة ، تندفق في بريق يبهر الأبصار ! كان اغراء بالغ السطوة ، أقوى من أن يصمد أمامه . وهكذا عاد ، في اليوم الرابع ، الى « شاتودو » ، ليلتقي بالفتى الفارع القامة ، ويستسلم لاغراء النقود !

وانطلقا ، في صباح غطته الثلوج ، وقد علّق كل منهما بكشفه حقيية من قماش ، بينما أخفى تحت قميصه صحفاً ، واذ بلغا باب « فلاندر » ،



كان وجه النهار قد أوشك أن يسفر ، وههنا أخذ الفتي الفارع القامة ، الصغير « ستين » من يده ، مقرباً به من الخفير - وكان رجلاً شهماً من أبناء المنطقة المقيمين ، ذا أنف شديد الاحمرار وسيماء تنم عن طيبة - قائلاً له في مسكنة .

- دعنا نمر ، يا سيدي الرحيم ... أمنا طريحة الفراش ، وأبونا متوفى . سامضي مع أخي الصغير ، عسانا نلتقط من الحقل حبات بطاطا !

ثم أخذ يبكي .. على حين استشعر « ستين » خجلاً . فطأ رأسه .

تفرس الخفير فيهما لحظة ، ثم ألقى نظرة خاطفة الى الطريق ، المقر المغطى بالثلوج ، وقال لهما ، وهو يتنحى جانباً :

- هيا أسرع .

وإذا هما في طريق « اويرفيليه » ، والفتى يطلق ضحكة !

أخذ « ستين » الصغير يرى ، على نحو غامض وكأنه في حلم ، المصانع ، وقد تحولت الى ثكنات ، والمتاريس الموحشة التي نشرت فيها ملابس رثة مغسولة ، وأما المداخن العالية التي تخترق الضباب ذاهبة في السماء ، فهي الآن ولا دخان فيها ، بعد أن عاثت في جوانبها طلقات المدافع . وكان ، ثمة ، حارس وعدد من الضباط مثقفو الرؤوس ، يتطلعون بمناظيرهم . وعن كعب ، انتصبت خيام صغيرة ، وقد بللها ذائب الثلج ، قبالة نيران خامدة . كان كبيرهما يعرف الطريق جيداً ،

فأخذ يتنقل بين الحقول ، متحاشياً أن يقترب من المخافر العسكرية . ولكنهما - دون ان يفلحا في الافلات - أصبحا وجهاً لوجه أمام جماعة من القناصة الفرنسيين ! كانوا متدثرين بمعاطفهم ، قاعدين القرفصاء في حفرة تغمرها المياه على طول خط « سواسون » الحديدي . وههنا أعاد الفتى ، باتقان ، سرد حكايته المختلفة ، ولكن بدا أنه لن يسمح لهما بالمرور .

**فيمًا** هو ينتحب مستعظماً ، خرج من كهل ، مجلل بالشيب ، متغضن القسما ، يشبه « ستين » الأب ، وصاح بهما :

- هيا ، ايها الولدان ! لنكف عن البكاء . سيسمح لكما بالمرور ، من اجل حبات البطاطا التي تبغيان التقاطهما . ولكن ادخلا اولاً ، فاستدقنا لحظات . اني لأراه ، هذا الصبي

الصغير ، متجمداً من شدة البرد ! ولكن ، وا أسفاه : لم يكن « ستين » الصغير يرتعد من البرد ، بل من الخوف . . من الخزي ! . .

وفي المخفر ألقيا بعض الجنود ملتفتين حول نار هزيلة - فكأنها ، بحق ، نار أرملة عجوز ! وهم يدقون بلهيبها قطع البسكويت على رؤوس حرايمهم . وتداني بعضهم من بعض كي يوسعوا للولدين مكاناً . ثم قدموا لهما السير من القهوة ، فارتشفاها . وأقبل ، في اثناء ذلك ، ضابط ، توقف في الباب ، واستدعى الرقيب ، ليسر اليه بوضع كلمات ، ثم ينسحب في مثل لمح البصر .

وما لبث الرقيب أن أعلن ، مشرق المحيا : - يا شباب ! « سيكون عندنا تبغ » هذه الليلة .. لقد اكتشفنا كلمة السر عند البروسيين .. اعتقد أننا في هذه الكرة ، سنسترد منهم منطقة « بورجيه » الغالية ! وسرعان ما اطلق الجنود القهقهات وصيحات الاستحسان عالياً ، وأخذوا يرقصون ، وينشدون ، ويجلون حرايمهم . فما كان من الولدين الا ان انتهزا هذه الحيلة ، فتواريا عن الأنظار . لم يبق أمامهما ، بعد اجتيازهما الخندق ، الا السهل ، وفي نهايته جدار أبيض ، ممتد ، تتخلله كوى الرمي ، فاتجها صوبه ، وهما يتوقعان ، بعد كل خطوة ، وينحنان ، متظاهرين بأنهما يلتقطان حبات البطاطا ! والصغير « ستين » ما يفتا يردد :

- لنعد من حيث أتينا .. لنكف عن الذهاب اليهم !

والفتى يرفع كتفيه غير مستجيب ، ويمضي قدماً .

وبعثة ، ترمى الى أسماعهما صوت بندقية تلقم . فصاح الفتى :

- انبطح أرضاً ! وهو يلقي بنفسه على الأرض .

ثم أرسل ، وهو منبطح ، من فمه صغيراً . فاذا صغير مماثل يرتد اليه من وراء الجدار الأبيض . فتقدما زاحفين .. وأمام الجدار ، على مستوى الأرض ، برز شاربان اصفران من تحت قلنسوة قذرة . فقفز الفتى الى داخل الخندق ، واستوى الى جوار الجندي البروسي . وقال ، وهو يشير الى رفيقه :

- انه أخي . كان « ستين » ضئيل الجسم جداً .

حتى ان البروسي ضحك لحظة وقعت عينه عليه . واضطر الى أن يأخذه بين ذراعيه ، ليرفعه الى فم الكوة .

وفي الجانب الآخر من الجدار ، كانت ثمة أكوام عالية من الأتربة ، وأشجار مطروحة على الأرض ، وحفر في الثلج سود ، في كل حفرة جندي يعتمر مثل تلك القلنسوة القذرة ، وله الشاربان الأصفران عينهما ، وكانوا يضحكون ، وهم يتابون بأنظارهم الولدين في عبورهما الكوة .

وهناك في احد الأرجاء ، نهض بيت بستانى محاطاً بجذوع الأشجار ، في الطابق الأدنى منه ، حشد من الجنود يلعبون الورق ، وبعضهم يعد الحساء على هيب نار عظيمة ، كانت تنوح ، من المفلوف واللحم . رائحة زكية ، أين منها ما هو في معسكر القناصة الفرنسيين ! وأما الضباط ، فكانوا في الطابق العلوي حيث يترامى الى الأسماح عزف على البيانو ؟

وعندما دخل الباريسيان ، استقبلا بعاصفة من التهليل ، فسلموا صحفهما . وما لبثا حتى قدمت اليهما أقذاح من شراب دافئ ، ثم أعطيا فرصة الكلام . كانت تبدو ، على هؤلاء الضباط جميعاً ، سيماء الصلابة والخبث معاً ، الا أن الفتى استهواهم ببديهة أبناء الضواحي البادية في حديثه ، وبألفاظه السوقية البذيئة ! فكانوا يقهقهون ، وهم يرددون كلماته ، ويغرقون - متلذذين - في هذا الوحل الباريسي الذي حمل اليهم !

**كان** يود « ستين » الصغير أن يتحدث ، لكن شيئاً ما كان يتحول بينه وبين الكلام . كان ثمة ، قبائله وبعيداً عن الآخرين ، ضابطاً بروسي أكبر سناً وأكثر نزوعاً الى الحد من زملائه ، كان يقرأ ، أو بالأحرى يتظاهر بالقراءة ، لأن عينيه ما كانتا لتفارقاه . كان في هذه النظرات ، من معاني الحنان واللوم معا ، ما يحمل على الظن بأن لهذا الرجل في بلده ولدأ في مثل عمر « ستين » ، حتى وكأنه يحاور نفسه فيقول : « اني لأفضل الموت ، على أن أرى ابني يمتن هذا العمل » .

أحس « ستين » ، منذ تلك اللحظة ، كما لو أن يدأ ثقيلة جثمت على قلبه ، فمغتمته من الخفقان .

وأقبل على الشراب الدافئ ، لعله يتخلص

من القلق الذي انتابه . ثم اذا هو يسمع ، على نحو غامض ، ومن خلال القهقهات العريضة ، رفيقه يتحدث هازئاً بالحرس الوطني ، وبطريقتهم في اداء تمارينهم محاكياً مشيتهم العسكرية في الاستعراض الذي جرى في « ماريه » ، واستنفاهم ليلاً وهم وراء المتاريس ثم ما لبث حتى خفض صوته ! فتداني منه الضباط ، وسرعان ما بدا على وجوههم اهتمام : لقد كان الوفد يبنهم بسرّ الهجوم الذي يتهدد له القناصة الفرنسيون ! ! .

ذلك على « ستين » وقوع الصاعقة ، فاذا هو ينتصب واقفاً ، ويعلن في غضب : — أما هذا فلا يا فتى . . أنا لا أوافق ! الا أن رفيقه لم يفعل شيئاً سوى أن أطلق ضحكة ، وتابع حديثه . وما أن فرغ ، حتى هبّ الضباط واقفين ، وأشار احدهم للولدين نحو الباب ، وقال متنهراً اياهما : — هيا انصرفا !

ثم اخذوا يتحدثون فيما بينهم ، بلغتهم الألمانية على عجل . ومضى الفتى يختال في مشيته فكأنه عظيم من العظماء ، وهو يعبت بالنقود محدثاً بها رنيناً ! وتبعه « ستين » ، خافض الرأس ، واذ مرّ ، بالقرب من الضباط البروسي الذي حالت نظرفته اليه بينه وبين أن يتكلم ، طرق سمعه صوت منه أسيف ، يرطن بلهجة فرنسية ركيكة : — غير لائق صنيعك هذا . . غير لائق . . فطفرت من مقلتيه الدموع .

لم يكد الولدان يبلغان السهل ، حتى اخذا يجريان في طريق العودة ، وقد امتلأت حقيبتاهما بالبطاطا مما أعطاهما البروسيون . واستطاعا أن يجتازا دون عائق خندق القناصة الفرنسيين ، حيث كانوا يتأهبون لهجومهم الليلي . كانت الوحدات توافد ، بصمت بالغ ، لتتجمع خلف الجدران . وكان الرقيب الكهل ، هناك ، منهمكاً في تنظيم رجاله ، وقد بدت عليه امارات السعادة . وقد عرف الولدين ، مرورهما به ، فافترّ ثغره عن ابتسامة ودود ! أواه ! كم كان أليماً وقع هذه البسمة على « ستين » الصغير ! ودّ لو يصرخ بهم : — لا تمضوا الى هناك . . لقد خنأكم ! لولا ان هتف به الفتى : — ان أنت أفصحت عن شيء ، قتلونا رويداً بالرصاص .

فألجم الخوف لسانه .

ثم انهما دخلا مبنى مهجوراً في « كورنوف » ليقسما النقود . والحق ، أن القسمة تمت « بنزاهة » ، وان « ستين » الصغير ، اذ تنهات الى سمعه رنة النقود الرائعة وهي تحت رداثة ، فانتقل معها بخياله الى ما يمكنه أن يفعل بها ، ذلك كله ما أفقده الاحساس ببشاعة الجريمة التي اقترف !

ولكن هذا الولد التاعس ، عندما أمسى وحيداً بعد أن غادره الفتى عند ابواب باريس ، أحس بأن جيوبه قد أخذت تثقل بالذي فيها وتزداد ثقلاً ، وأن اليد التي جثمت على قلبه ، تحكم الآن قبضتها أكثر من أية لحظة سبقت . ولم تعد باريس ، في ناظره ، كعهده بها . والناس ، الذين يحرون به ، يرشقونه بنظرات شذراء ، كما لو أنهم يعرفون من أين أتى ! وكلمة « خائن » تردد ، في سمعه ، مع وقع دواليب العربات على الأرض ، وفي قرع الطبول وهي تؤدي تمارينها على طول القناة ! وبلغ ، أخيراً ، منزله . وأحس براحة قصوى ، اذ تبين أن والده لم يعد بعد . فهرع الى غرفته ، ليخفي ، تحت مخدته ، تلك النقود التي غدت عبئاً ينوء به كاهله ! ولم يبد والده ، قط ، منشرح الصدر محبوراً ، قدر ما بدا في دخوله البيت ذلك المساء . كان قد تلقى لتوه أنباء من الريف موّدها أن حالة البلاد تسير نحو الأفضل . واذ جلسا يتناولان العشاء رنا الجندي المتقاعد بعينه الى بندقيته المعلقة على الجدار ، مسائلًا ابنه ضاحك السن :

— ألا قل لي يا ولدي : كيف يكون شأنك مع البروسيين عندما تغدو شاباً ؟ !

حوالي الساعة الثامنة ، جلجلت المدافع . فهتف الأب في سلامة طويته :

— ان هذا في « اويرفيليه » . أنهم يلتحمون في « بورجي » .

لقد كان يعرف حصونها كلها . وأما « ستين » الصغير ، فقد فرّت الدماء من وجهه . وهرع الى النوم ، متعللاً بتعب ألم به ولكن عينيه لم تستطعاً غمضاً . كانت المدافع تواصل قصفها . وتمثل في خاطره القناصة وهم يتسللون ، تحت جنح الليل ، لياغتوا « البروسيين » ، فاذا بهم يقعون — هم أنفسهم — في كمين ! وعاد يتذكر الرقيب الذي ابتسم له ،

فراه بعين الخيال منطرحاً فوق الثلج ولا حراك فيه ، وكم من جندي سواه متناثري الأشلاء حوله ! . . . وثمن هذه الدماء كلها نجباً هناك ، تحت مخدته ، والسبب هو نفسه ، ابن السيد « ستين » ، ابن جندي . . . فخفتته العبرات .

الى سمعه ، من الغرفة المجاورة ، وقع زلزال خطوات أبيه ، وهو يمشي ، ثم وهو يفتح النافذة . كان يعلو ، في الساحة تحت ، نفير التعبئة . وكتيبة من الحرس الوطني تنظم صفوفها ، استعداداً للانطلاق . ليس من شك في أن معركة حقيقية تدور رحاها . والشقي المعذب ، لم يستطع أن يتمالك نفسه من أن . . يبكي ! هتف « ستين » الأب :

— ما بك يا ولدي ؟ وهو يقتحم عليه غرفته . لم يعد في وسع الولد أن يتحمل المزيد ، فقفز من سريره ، مرتجياً على قدمي أبيه . . فتدحرجت ، في ذلك ، الريلات على الأرض ! صرخ الشيخ وجلاً :

— ما هذا ؟ هل سرت ؟ وهنا . . اندفع « ستين » الصغير يروي ، غير متوقف ، كيف أنه ذهب الى « البروسيين » ، وكل ما قد فعل ! وكان كلما أفاض في اعترافه ، ازداد احساساً بأن الكابوس يزابل قلبه . كان اقراره بذنبه ، يخفف من عذاب ضميره . .

أصغى « ستين » الأب مرتاعاً . ثم ما لبث بعد أن فرغ ابنه — أن أخفى رأسه بكلتا يديه ، وأجهش بالبكاء .

أراد الولد ان يتكلم :

— أبتاه ، أبتاه ! ولكن الشيخ دفعه ، دون ان ينبس . وانحنى يجمع النقود ، ثم سأل :

— أهذا كل شيء !

أوما « ستين » الصغير بأن ذلك هو كل ما هنالك .

فاختطف الشيخ بندقيته من على الحائط ، وجعبة الذخيرة ، وقال ، وهو يضع النقود في جيبه :

— حسن ، اني ذاهب لأردّها اليهم . وانكفأ يهبط الدرج — دون أن يضيف كلمة ، أو يلتفت برأسه الى الوراء التفاتة واحدة — لينخرط في صفوف الحرس الوطني ، الداهيين في ظلمة الليل . ومنذئذ . . لم تقع عليه عين أبداً





في أعماق البحار  
توجد مخلوقات غريبة  
والتي قد لا نراها  
إلا في الأفق البعيد  
أو في أحلامنا  
التي تتجلى في  
الخيال.

# عقّاقير من أعماق البحار



مادة « باولين - paolin » المستخلصة من « الحبار - squid » أثبتت فعاليتها في انقاذ حياة القران المستخدمة لتجارب المختبرية بعد حقنها بفيروس الشلل والانفلونزا .

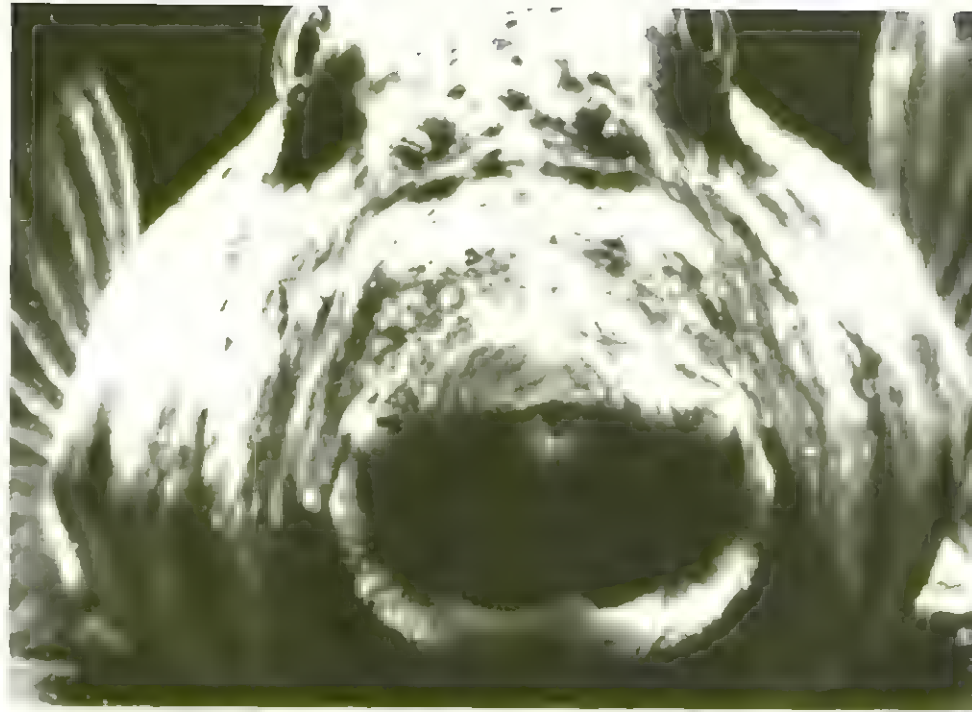
أحد الفواصين المحترفين يسير أغوار المحيطات لجمع بعض العينات البحرية من أعماق البحر .



للماء والأطباء العرب السهم الأوفر  
لكن في ارساء قواعد فن الصيدلة وتحضير  
العقاقير الطبية . وقد برعوا في هذا المضمار  
بحيث غدوا رواد علم الصيدلة والأعشاب آنذاك ،  
وذلك لأعتقادهم بأن علاج معظم الأمراض  
ينحصر في مملكة النبات . وقد امتاز اطباء  
العرب القدماء بمعرفة خصائص العقاقير ،  
سواء كانت من الأصل النباتي او الحيواني  
او المعدني وكيفية استخدامها لمداواة الأمراض .  
فمن النباتات ما تتخذ منه الأصماغ ، واشباه  
القلويات ، والمستحلبات كعقاقير طبية . ومنها  
ما يُستخرج منه اصناف الطيب والعطور وانواع  
الدهون والمسوحات والمسهلات . وقد الفث كتب  
عربية عديدة في دراسة النباتات والأعشاب ، منها  
كتاب « ابن البيطار » الطبيب العربي المشهور  
الذي وصف في كتابه اكثر من ( ١٤٠٠ )  
عقار بين نباتي وحيواني ومعدني ، كما بين فيه  
فوائدها الطبية وكيفية استعمالها كأدوية واغذية .  
وكما دأب العلماء ، قديماً وحديثاً على  
البحث والتنقيب عن سبل جديدة لتحسين  
وتطوير المواد الغذائية وتنمية الثروات النباتية  
والحيوانية لزيادة الانتاج في المواد الغذائية  
الضرورية وفق مقتضيات الحياة ومحمياً مع  
الزيادة المطردة في تعداد سكان هذا العالم ،  
كذلك دأب أطباء وعلماء آخرون على البحث  
والتنقيب عن سبل ومصادر جديدة بغية  
تحسين المواد والعقاقير الطبية وتطويرها وتنميتها  
وزيادة طاقة انتاجها بصورة تتماشى مع  
متطلبات هذا العصر .

وبما ان العلماء كانوا وما يزالون ينقبون عن  
مصادر جديدة يجرون عليها تجاربهم العلمية  
ويجتنون منها منافع لصالح الانسانية ، فقد  
وجهوا اهتمامهم في بادىء الأمر الى النباتات  
البرية يجرون عليها تجاربهم وابعاثهم ،  
ويستخرجون منها انواعاً عديدة من العقاقير  
والمواد الغذائية . وفي الوقت نفسه قام علماء  
آخرون بتوجيه اهتمامهم الى الفضاء فحققوا  
نصراً علمياً جديداً تكمل بوصول الانسان الى  
سطح القمر والعودة منه الى الأرض بسلام  
مصطحباً معه عينات من صخوره وترابه .  
وكانت أنظار العالم آنذاك تتجه الى نتائج تلك  
الرحلة التاريخية بدهشة واستغراب ، ولكن  
الرحلات الفضائية هذه اصبحت شيئاً مألوفاً في  
الوقت الحاضر ، واخذ عدد من العلماء والأطباء  
يحولون اهتمامهم الى سبر اغوار البحار واعماق





الأسفنج الأحمر اكتشفوا انه يحتوي على مادة مركبة قد تكون ذات فائدة في مكافحة مرض السل الرئوي . ومن ناحية اخرى فان الدراسات التحليلية التي اجريت على سمك « الرعاد - electric eel » قد فتحت امام العلماء آفاقاً جديدة في اكتشاف ترياق يشفي من لدغات الحشرات السامة . كما دلت الاختبارات التي اجريت على ثعابين البحر على ان هذه الثعابين تحتوي على مادة ذات مفعول سريع في تخثر الدم . فمن هذه الدراسات والاختبارات التحليلية الدقيقة ، خرج العلماء بنتائج مؤداها ان العينات التي جمعها الفواصون من اعماق البحار تزخر بمختلف المواد التي يمكن الاستفادة منها في استحضار انواع عديدة من العقاقير الطبية . ومع ان التجارب التي اجراها العلماء لم تشمل حتى الآن سوى واحد في المائة من آلاف الكائنات البحرية ، الا انه ثبت لهم وبكل وضوح ان الجهود التي يبذلونها في الاستفادة من المحيطات لا تحتاج الا لبعض الوقت ، ومع ذلك فانهم سيولون تجاربهم ودراساتهم حتى تتكامل جهودهم بالنجاح . فريق العلماء الأنف الذكور

المحيطات سمياً وراء إمكان استخراج بعض العقاقير الطبية من النباتات والحيوانات البحرية . ويضطلع بهذه المهمة العلمية الشاقة الآن فريق من الرواد البارزين الذين كرسوا أوقاتهم وجهودهم لانجازها وتحقيق النتائج المتوخاة من ورائها . وقد اطلقوا على هذه التجربة العلمية الجديدة اسم « علم العقاقير البحرية » .

**وقد** عكف هؤلاء منذ البداية على دراسة الأسماك السامة واضعين نصب اعينهم الفكرة القائلة بأن اية مادة طبيعية تكمن فيها قوة كافية لقتل مخلوق كبير مثل الانسان ، لا بد وان تكون هذه المادة قادرة على وقايته من الأمراض التي تصيبه ، اذا ما استعملت بطريقة طبية صحيحة . فكان اول عمل قام به هؤلاء العلماء هو اجراء دراسة تحليلية على قنافذ البحر والديدان البحرية فوجدوا انها تحتوي على مادة سامة تدعى « بونالينين - bonellin » . وهي من بين المواد الأخرى الفعالة التي تستطيع ان توقف نمو خلايا السرطان الحية . كما اجروا سلسلة من الدراسات على محار يشبه الحلزون فاكشفوا انه يفرز مادة تساعد على استرخاء العضلات . وهذه المادة يمكن تطويرها وتحولها الى دواء ناجع لمعالجة الاضطرابات العصبية العنيفة . ومن خلال دراسة دقيقة اجراها العلماء

على الأسفنج الأحمر اكتشفوا انه يحتوي على مادة مركبة قد تكون ذات فائدة في مكافحة مرض السل الرئوي . ومن ناحية اخرى فان الدراسات التحليلية التي اجريت على سمك « الرعاد - electric eel » قد فتحت امام العلماء آفاقاً جديدة في اكتشاف ترياق يشفي من لدغات الحشرات السامة . كما دلت الاختبارات التي اجريت على ثعابين البحر على ان هذه الثعابين تحتوي على مادة ذات مفعول سريع في تخثر الدم . فمن هذه الدراسات والاختبارات التحليلية الدقيقة ، خرج العلماء بنتائج مؤداها ان العينات التي جمعها الفواصون من اعماق البحار تزخر بمختلف المواد التي يمكن الاستفادة منها في استحضار انواع عديدة من العقاقير الطبية . ومع ان التجارب التي اجراها العلماء لم تشمل حتى الآن سوى واحد في المائة من آلاف الكائنات البحرية ، الا انه ثبت لهم وبكل وضوح ان الجهود التي يبذلونها في الاستفادة من المحيطات لا تحتاج الا لبعض الوقت ، ومع ذلك فانهم سيولون تجاربهم ودراساتهم حتى تتكامل جهودهم بالنجاح . فريق العلماء الأنف الذكور

**ونفس** نخبة من رواد العلم البارزين من بينهم الدكتور « روس فيجريلي » ،



تشكل الحيوانات البحرية مصدراً وفيراً لأنواع عديدة من العقاقير الطبية . فمن «حززون البحر - Snail» مثلاً يمكن استخلاص «مضادات مجرثية - Antibiotics» ومن «البطيطوس» أو «السمك النصفى - Clams» يمكن الحصول على مواد مانعة لتخثر الدم ، ومن «بلح البحر - Mussels» المسكنات التي تستخدم في التخدير الموضعي - Local anesthetics «تفوق في فاعليتها البروكيين - Procaine» و«الكوكيين - Cocaine» بـ ١٠٠٠ مرة

ومن بين الشخصيات البارزة التي شاركت في هذه الأبحاث الرامية إلى استخراج العقاقير البحرية الدكتور «تشارلز لين» من جامعة ميامي الأمريكية الذي أجرى عدة تجارب على نوع من قناديل البحر «jellyfish» له كيس هوائي يشبه المثانة يمكنه من العوم فوق سطح الماء ، ساحباً وراءه كتلة من الصفائح الجميلة السامة ، وشأنه في ذلك شأن حية الكوبرا ، فهو يفرز مادة «النوروتوكسين - neurotoxin» التي إذا ما أصابت ضحيته سببت لها اختلالاً في الجهاز العصبي . وبعد خمس سنوات من العمل المتواصل استطاع الدكتور «لين» أن يعزل من جسم قنديل البحر العضو الذي يولد مادة «فيساليا توكسين - Physalia toxin» التي يعقد الأطباء عليها آمالاً كبيرة في استخدامها في معالجة أمراض القرحة ، والتهاب الكيس الزلالي ، وأمراض القلب .

## تجارب عجيبَة

وأما الدكتور «بروس هالستد» من معهد أبحاث الأحياء البحرية «في ولاية كاليفورنيا» فيختلف تماماً عن سائر العلماء المتخصصين في علم الأحياء المائية ، فهو غواص بارع ، وكثيراً ما يغوص إلى الأعماق ويجمع

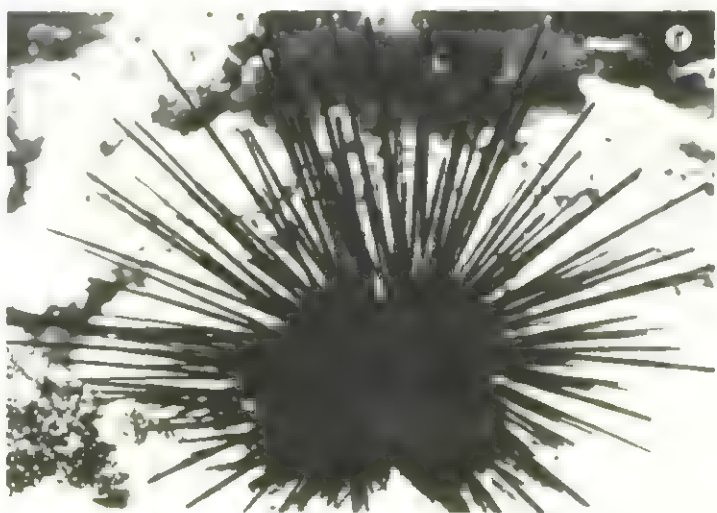
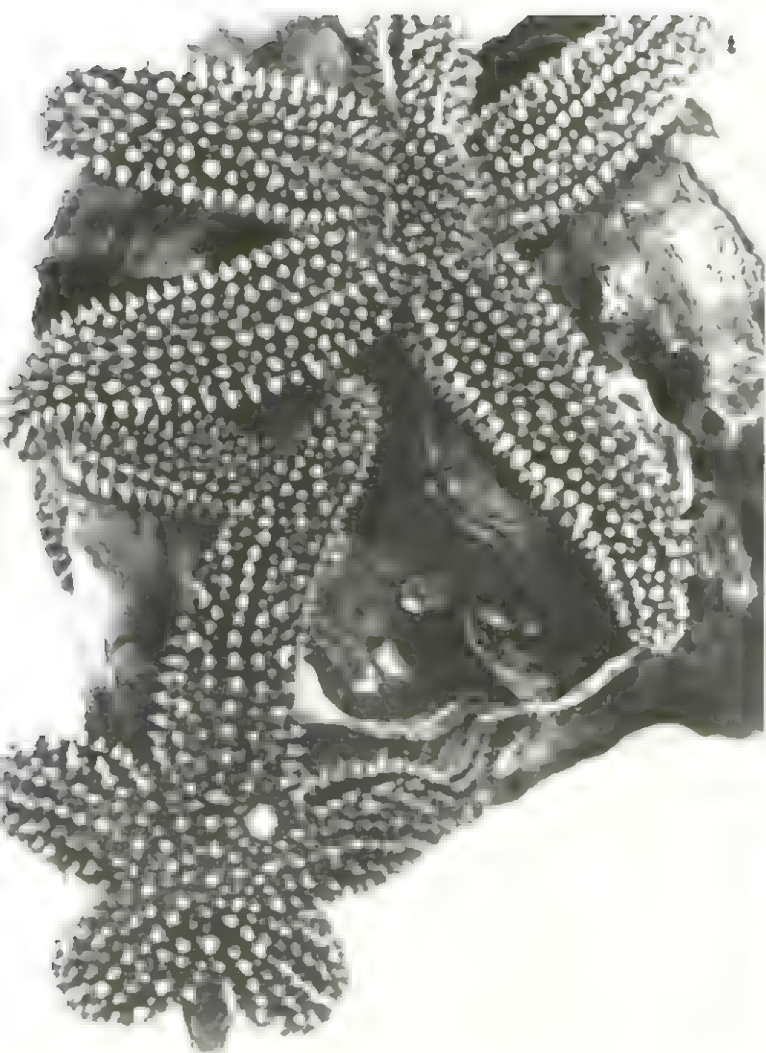
رئيس مختبرات «أوسبورن» للعلوم البحرية في أمريكا . فقد بدأ بحثه في أوائل الخمسينات بإجراء دراسة على واحدة من فصائل «خيار البحر - sea cucumber» التي يقدر عددها بنحو ٦٠٠٠ فصيلة . وخيار البحر هذا كائن بحري صغير يكسو جسمه جلد رقيق ، ويعيش فوق الأرض في قاع المحيط . وأغرب ما في هذا المخلوق البحري طريقته في الدفاع عن نفسه ضد أعدائه ، فهو إذا ما داهمه خطر ، يفصل عضواً ساماً من جسمه ويتركه لعدوه ، ثم يتطلق إلى موقع جديد ليقيم فيه حيث يبدأ ببناء العضو المفصول من جديد . وقد أثارت هذه الظاهرة العجيبة ، اهتمام الدكتور «نيجريلي» ، فقام بفصل ذلك العضو الحيوي من أعضاء هذا الكائن البحري ، واستخرج منه مادة أطلق عليها اسم «هولوثورين - Holothurin» . وقد كشفت له التجارب التي أجراها بهذه المادة على عدد من الفئران ، عن أن هذه المادة تستطيع أن تضعف ، بل توقف أحياناً نمو خلايا السرطان . وبما أن هذه المادة قد أثبت أنها تعوق «حركة انتقال نبضات الأعصاب - Transmission of nerve impulses» فقد تكون ولا شك ، ذات نفع لأطباء الجراحة بإيقاف نزيف الدم عند إجراء عمليات البتر الجراحية .

يحتوي هذا الحيوان البحري الذي يطلق عليه «البابجة الحربية - Man-of-war» على مادة سامة شديدة الفعالية يمكن الانتفاع بها في حقن العقاقير الطبية .

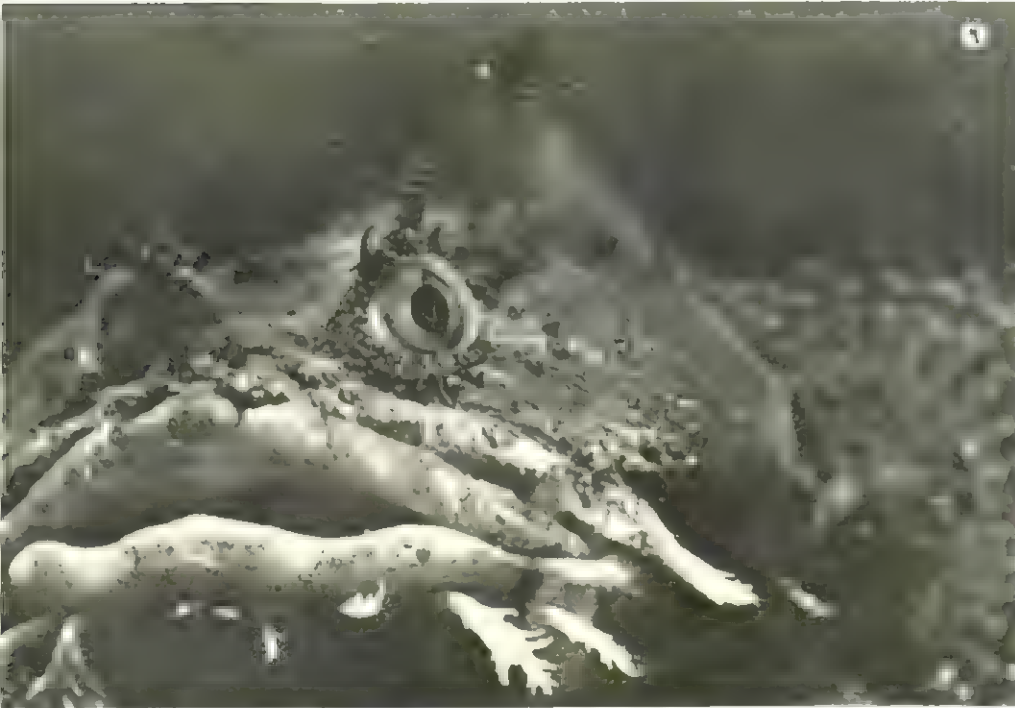


١ - الدكتور «جورج راجياري» ، أحد العاملين في مختبرات أوسبورن للأبحاث البحرية في مدينة نيويورك ، يحقن مادة هرمونية مائعة لنمو خلايا الجسم في مجموعة من قنابد البحر الشوكية وقناديل البحر لمعرفة مدى رد الفعل لديها .

٢ - الدكتور «روس نيجرلي» أحد علماء الأحياء البارزين ، يجري فحوصا على حيوان «خيار البحر - sea cucumber» الذي تستخرج منه مادة «الهولثورين - holothurin» التي أثبتت جدواها في معالجة حالات التشنج أو الشلل التي تصيب الإنسان نتيجة لمطل في الملح أو العمود الفقري .



- ٣ - تحتوي «قنفذ البحر - sea urchins» على مادة سامة تعرف علمياً بـ «بونيلين - Bonellin» وهي شديدة الفعالية في إيقاف نمو خلايا السرطان الحية.
- ٤ - «نجم البحر - starfish» من الحيوانات البحرية العديدة التي يجري عليها العلماء تجاربهم في نطاق حملتهم العلمية الرامية الى استخراج عقاقير طبية منها . وهذا الحيوان الذي يبدو هنا يهاجم محاراً صغيراً . يفرز مواد تبيّن للعلماء أنها منشطة لعضلات وأنها وسيلة فعالة لتنظيم أنسل .
- ٥ - الدكتور «تشارلز لين» من جامعة ميامي في فلوريدا ، أثناء قيامه بأحدى التجارب العلمية في المختبر .
- ٦ - المادة السامة المستخرجة من «السلك العلجومي - toadfish» لديها القدرة على إزالة السكر الفائض في الدم ، مما يجعلها تحل محل «الأنسلولين - Insulin» الذي يتعاطاه المصابون بداء السكري .



غير ان الابحاث والمعلومات التي حظي بها هؤلاء العلماء قد اثارت تساؤلات عديدة من بينها السؤال التالي : ما الذي يجعل عدد نبضات قلب عجل البحر او «الفقمة - Seal» ينخفض الى اربع نبضات في الدقيقة الواحدة اثناء غوصه في الماء ؟ وسؤال آخر يقول : ما السر وراء ارتفاع نبضات قلب السرطان الى ٧٥٠ نبضة في الدقيقة اثناء عدوه عبر قاع المحيط ؟ وهناك سؤال ثالث يقول : كيف تعيش سمكة «الجريث - hagfish» المقترسة بثلاثة قلوب ؟

ان الاجابة عن هذه التساؤلات وغيرها من الأسرار الأخرى العديدة تكمن في الأبحاث الطبية التي يعكف العلماء على دراستها وتحليلها والتي ينتظر ان تسفر عن نتائج مذهلة تعود ثمارها بالنفع العميم على البشرية جمعاء ■

نكريا البنا - هيئة التحرير

المستخرج من رماد «عشب البحر - Kelp» والذي يساعد الجسم على التخلص من عنصر «الاسترنتيوم - ٩٠» الفلزي . وهو عنصر يعتبر من أخطر المركبات المسمّرة الناتجة عن الانشطار النووي .

ومن بين النباتات البحرية الأخرى التي وجد فيها علماء الطب ضالتهم المنشودة ، نبتة «الأشنة» التي تعتبر من اصلب النباتات المعروفة في العالم واقواها على تحمل الأحوال الطبيعية . وقد استفاد العلماء من بعض المواد المستخلصة منها واستحضروا منها نوعاً من المرهم او الدهون ليستخدم كعلاج للحروق والجروح بشكل أكثر فعالية من البنسلين .

، فان هذه البحار التي يأوي اليها ما يقرب من ٥٠٠,٠٠٠ نوع من المخلوقات البحرية تحمل في اغوارها من الأسرار والغرائب ما يثير دهشة علماء الأحياء .

عيناته الخاصة بنفسه . وقد قام بجمع معلومات شاملة من مصادر عديدة مختلفة عن علم العقاقير والأبحاث الخاصة بالأسماك السامة . وهناك عدد من العلماء الآخرين الذين وجهوا اهتمامهم الى ما تحويه النباتات والأعشاب البحرية من مواد فعالة يمكن الاستفادة منها في استحضار عقاقير طبية تساعد على شفاء كثير من الأمراض المستعصية او المزمنة . فعلى سبيل المثال ، اكتشفوا ان «الاجينون - alginon» ، وهو نوع من انواع «مصل الدم التركيبي - Synthetic blood plasma» ، يستخرج من اعشاب البحر ، وكذلك مركبات «الكراغينان - carrageenan» و «الايمار - ebimer» و «البلايف - Pallitives» التي تستعمل كمعاقير مهدئة لأمراض القرحة ، فانها تستخرج أيضاً من اعشاب البحر . ولعل من اغرب المركبات التي تم اكتشافها في هذا المضمار ذلك المركب



# اخبار الكتب

\* تحل في عام ١٩٧٤ ذكرى انقضاء ستة قرون على وفاة الوزير الأديب لسان الدين بن الخطيب الذي عاش في الأندلس والمغرب وكانت حياته شديدة الخصب أدبا وشعرا وتاريخا .

وقد دعا العلامة الكبير الأستاذ محمد عبد الله عنان في مقدمة كتابه «لسان الدين بن الخطيب : حياته وتراثه الفكري» الى أحياء هذه الذكرى في المغرب ، باعتبارها أعظم مستودع لتراثه الفكري ، وفائد أحيات العلمية المشتغلة بالأندلسيات المشاركة في هذه الذكرى باخراج آثار ابن الخطيب المخطوطة ، ولا سيما الأجزاء الباقية من «نفاضة الجراب» وجعل هذه المناسبة مناسبة قومية وعربية وعالمية لاطهار آثار هذا الأديب العربي الماجد .

وقد عرف أن أحيات الثقافة في المغرب رحبت بفكرة أحياء ذكرى ابن الخطيب ، وشرعت تتخذ الاجراءات للدعوة اليها وتكليف أديباء المغرب الاسهام فيها ، سواء باخراج تراث ابن الخطيب أو بدراسة شخصيته . كما بدأت تتصل بالمشتغلين بالآداب الأندلسية في البلاد العربية وديار الاستشراق لانجاح هذه المناسبة .

\* من كتب التراث التي صدرت أخيرا جزاءن من قسم العراق من كتاب «جريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني الكاتب وقد حققها العلامة الكبير الأستاذ محمد بهجت الأثري فأتى بذلك أربعة أجزاء ضخمة من هذا الكتاب النفيس . وقد نشر الطهران الجديدان عن وزارة الاعلام العراقية .

كما صدر في جزئين كتاب «بهجة المجالس وأنس المجالس» للإمام أبي عمر يوسف القرطبي وقد حققه الأستاذ محمد مرسي الخولي وراجعه الدكتور عبد القادر القط وصدر عن اهيئة المصرية العامة للكتاب .

\* «صالح جودت في الميزان» كتاب جديد في النقد صدر للأستاذ عامر العقاد عن دار الندوة ، وهو يذكر القارئ بالكتاب النقدي الشهير الذي أصدره العقاد والمازني بعنوان «الديوان» لأن العقاد الصغير وضع الشاعر صالح جودت على مشرخته وتركه كثير الجروح والتدوب بعد تسليط مقاييسه النقدية عليه .

\* صدر للأستاذ فتحي الخولي كتاب عنوانه «لطوف لغوية» نشرته مكتبة الارشاد بجدة واشتمل على دراسات في اللغة وعلوم الكلام .

\* أصدرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العدد الأول من مجلتها «الثقافة العربية» التي يحورها الأستاذ بدر الدين أبو غازي .

\* من الكتب الجلية التي صدرت أخيرا «منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية» للدكتور جلال موسى وهو من منشورات دار الكتاب اللبناني .

\* طائفة غير قليلة من الكتب التي تتناول الدراسات الاسلامية صدرت مؤخرا ، منها : «الجامع المانع من حديث الرسول» وقد قدم له الدكتور حسن عز الدين الجمل وصدر عن دار الشعب ، و «الاسلام في مواجهة الماديين والملمدين» للأستاذ عبد الكريم الخطيب وصدر عن دار الشروق ، و «دعاء الفرج» للأستاذ عباس الديب ، و «الاسلام دين السعادة» للشيخ موسى محمد علي ، وقد صدر الكتابان عن دار الشعب . كما أصدر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية كتابين هما : «مشروعية الصوم في الاسلام» للأستاذ ابراهيم عبد الرازق ، و «رمضان شهر الجهاد» للأستاذ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي . وصدرت عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر بمقدمة لفصيلة الدكتور محمد عبد الرحمن ببصار الكتب التالية : «الاسلام والحضارة العالية» للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي ، و «بشائر النبوة الخاتمة» للدكتور رؤوف شلبي ، و «منهج ابن عطية في التفسير» للدكتور عبد الوهاب فايد ، و «والعية المنهج القرآني» للأستاذ توفيق محمد سبع .

هذا ويعكف القاضي الأستاذ أنور العمروسي على اعداد طبعة ثانية مزيدة من كتابه «أصول المرافعات الشرعية في مسائل الأحوال الشخصية» .

\* صدر في دمشق كتاب كبير عن الأديب الشاعر الراحل الدكتور زكي المحاسني بأقلام اعلام الفكر والأدب الذين عرفوه وقدروا علمه وأسفوا للفراغ الكبير الذي خلفه الفقيه . هذا وتعكف أرملته الأدبية السيدة وداد سكاكيني على تهئية آثاره غير المنشورة للطبع ، ومن جملتها ديوان كبير ودراسات في اللغة والنقد ، والملمحة العربية التي تابع نشر حلقاتها في «قافلة الزيت» .

\* يعكف الأديب الأستاذ جلال مظهر نجل العلامة الراحل اسماعيل مظهر على اعداد كتاب كبير عن أبيه يترجم له فيه ويحلل شخصيته ويعالج المعارك الأدبية والعلمية التي خاضها ، ويتناول آراءه واتجاهاته بالدروس والتقييم ، عارضا في ثنايا ذلك عصر اسماعيل مظهر ورجاله وتيارات الفكر التي عاصرها .

\* من كتب السير والتراجم التي صدرت أخيرا «ذو النون المصري» للدكتور عبد الحليم محمود وقد نشرته دار الشعب ، و «الامام فخر الدين الرازي» للدكتور علي العماري وقد صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية .

\* تصدر قريبا طبعة ثانية مزيدة منقحة من كتاب «عمر فاحوري» للأدبية الكبيرة السيدة وداد سكاكيني .

\* كتاب «أغرب التجارب الانسانية» صدر للأستاذ منير عامر عن مكتبة مدبولي .

\* «أحلام بأحلام» عنوان كتاب للأستاذ نجيب مخول من منشورات مؤسسة بدران .

\* من روايات الكاتبة البوليسية المعروفة أجاتا كريسي التي ترجمت أخيرا ونشرتها دار الكتاب الجديد «جريمة في مصر» ترجمة الأستاذ صادق راشد ، و «الجريمة المزدوجة» ترجمة الأستاذ محمود مسعود ، و «سر التوأمين» ترجمة الأستاذ محمد عبد المنعم جلال .

وهناك روايات أخرى صدرت منها «العاصفة» لغبريال وهبي وقد نشرت في سلسلة روايات الهلال ، و «طرف الخطيب» للأستاذ رجاء نعمة وقد صدرت عن دار الآفاق الجديدة ، و «في مدينة المستنقع» للأدبية نهى صيداوي وقد صدرت عن دار الآفاق . كما صدرت مجموعة أقاصيص منها «الخطوبة» للأستاذ بهاء طاهر نشر مجلة الجديد ، و «في الهواء الطلق» للسيدة سناء البيبي نشر اهيئة المصرية العامة للكتاب ، و «آدم الصغير» للأستاذ فاروق منيب نشر اهيئة المصرية ، و «قلب ونار» وهي أقاصيص مؤلفة ومترجمة بقلم الأستاذ عبد الفتي العطرزي وقد قدم لها رائد القصة الراحل محمود تيمور وصدرت عن دار العلم للملايين .

\* كتاب «رحلتي الى الحجاز» لفقيه الأدب العربي ابراهيم عبد القادر المازني صدرت منه طبعة ثانية عن مجلة الجديد .

\* الأديب الكبير توفيق الحكيم أخرج كتابا جديدا بعنوان «عصا الحكيم في الدنيا والآخرة» يضم فصولا له في شؤون الحياة والمجتمع . وقد نشر في سلسلة كتاب الهلال .

\* أصدر الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي كتابا عن تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين ، طبعتها مطبعة المركز النموذجي بالجيزة .

\* «سيكولوجية المرأة» كتاب لماري بونابرت ترجمة الدكتور صلاح مخيمر والأستاذ عبده ميخائيل ونشرته مكتبة الانجلو المصرية .

\* ترجم الدكتور امام عبد الفتاح اسمام كتاب «الجبر الذاتي» للعلامة الكبير الدكتور زكي نجيب محمود ونشرته اهيئة المصرية العامة للكتاب .

\* أصدر الدكتور صلاح مخيمر طائفة من كتب علم النفس ، منها : «سيكولوجية الموضة» ، و «تناول جديد للمراهقة» ، و «في العلاج السنوكي والظواهر ياني» ، وقد ترجمه الدكتور مخيمر عن ديفيد مارتن . وأصدر الدكتور مخيمر بالاشتراك مع الأستاذ عبده ميخائيل كتاب «مدخل الى سيكولوجية التعليم» ، وكتاب «مدخل الى علم النفس الاجتماعي» و «سيكولوجية الشخصية : دراستها وفهمها» . وهذه الكتب جميعا من منشورات مكتبة الأنجلو المصرية .

\* صدرت للروائي الكبير الأستاذ ابراهيم المصري مجموعتان جديدتان من الأقاصيص هما «الشاطيء والبحر» من مطبوعات مجلة الجديد ، و «أرواح طائفة» في سلسلة روايات الهلال ■

# حُطَامُ قِيسَاةٍ

للشاعر الأستاذ طاهر الزمخشري

بـارِراحِ المَرَى .. على بابها المَوْصِدُ .. ألقى العُشْرُ بالقطرات  
كَانَ قِيسَاةٍ .. من المَرَى بَرَقَصَ الخطرُ ، وتعى لغائبي عُرْمَاتِي  
وبطوري السَّوْدِ ، أزعج في الدَّربِ ، ولا أنسى عن العَايَاتِ  
أحمل السَّاءَ ، لا أضيق به ذُرْعَا ، وتلهو الآلامُ في حُلجَّاتي  
والشَّجَا كَانَ مِعْزَقِي ، والـبَارِيحُ مَرَامِي وَحْدَتِي وَأَمَاتِي

والأبْنِ المَكْبُوتِ في عُمُقِ قِيسَاةٍ      بعضُ مَا قَدْ سَكَبْتُ في اغْيَاتِي  
وعَلِ الصَّمْتِ في كَهْرٍ اللَّيَالِي      عُلِقْتُ نَظْرَتِي عَلَى أَحْيَاتِي  
وهي لَمْ تَعُدْ صُورَةَ لَأْمَانٍ      نَجَّتْ مِنْ طَيِّفِهَا أَمَلَاتِي  
وهي وَهْمٌ وَلَيْسَ إِلَّا عِبَادَةٌ      مَا تَحْرُكُ الْأَهْجَامُ مِنْ رَالَعَاتِي

بـارِراحِ المَرَى ، على بابها المَوْصِدُ ، ألقى رُزْمَةُ الذِّكْرِيَاتِ  
وَحَرَّتِ الْأَمَالُ ، فَانْقَضَ الصَّمْتُ ، لِيَلْقَى سَكْرَتُهُ ضَرْبَاتِي  
عَلَيْهِ يَنْقُذُ الْبَقَايَا مِنَ النَفْسِ ، وَيَقِي عَلَى وَبَاطِنِ حَيَاتِي  
أَبْنِ مَعَى الْحَيَاةِ ، وَالْعَصْرُ قَدْ ضَاعَ ، فَأَحْرَتْ عَامِدًا نَبَاتِي  
وَالْأَمَانِي الَّتِي رَمَيْتُ إِلَى الْيَمِّ ، عَلَى سَائِبِهَا وَأَذَتْ بِنَاتِي (١)

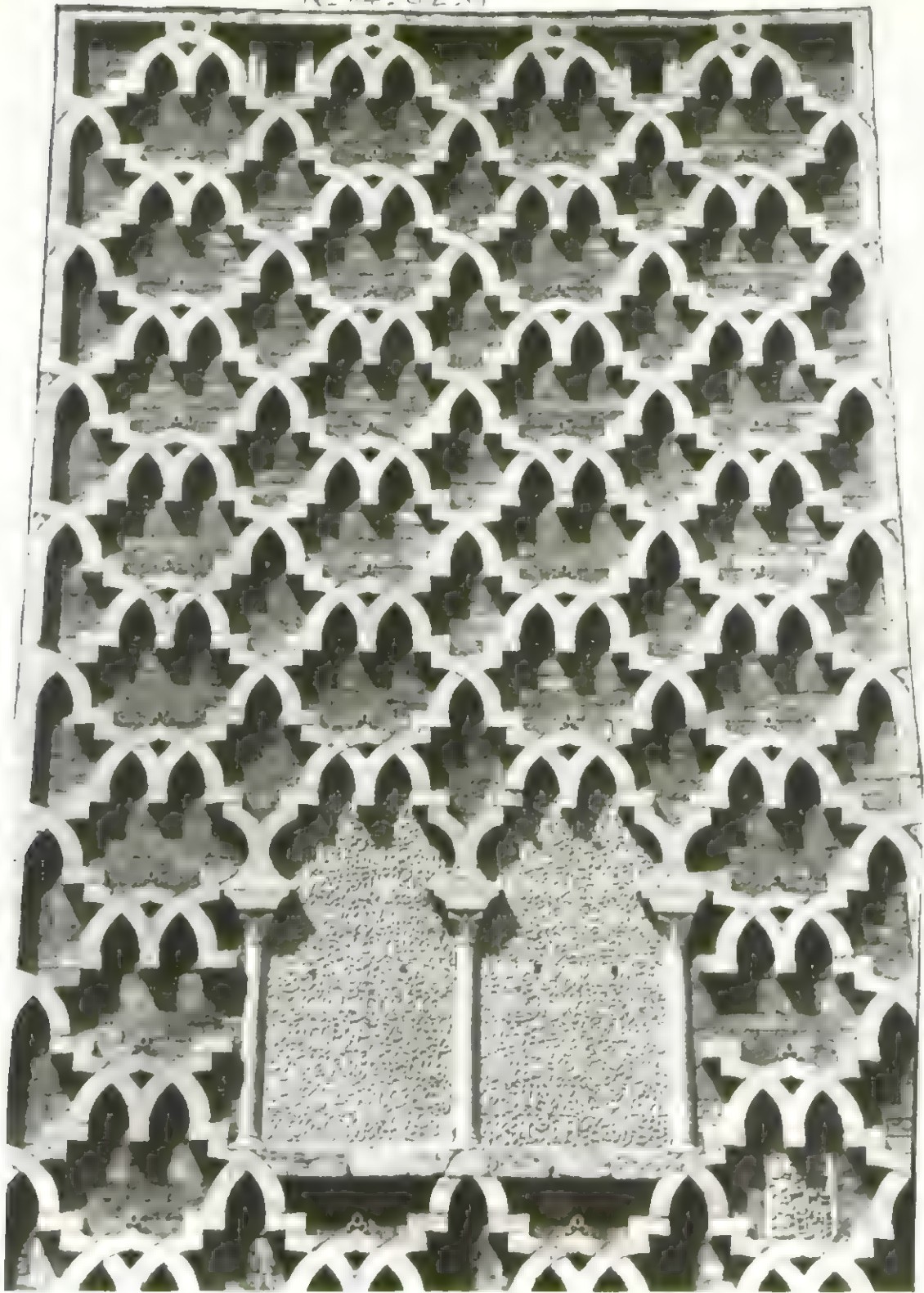
بـا بِنَاتِ الْأَفْكَارِ ، من رَحْمَةِ الْأَشْجَانِ الْقَبِيْثِ مَقْرُودِي الشُّرَكَاتِ  
الزُّكْبِيَّيْنِ أَحْمَرِ عَلَى طَلْعَةِ الْفَلَمِ ، وَبِأَيِّ ذُجَّاهِ مِنْ مَغْطِيفَاتِ  
لَيْتِي كُنْتُ خِيَمَةَ لُزُومِي      كَيْفَ حَارَتْ مَعَايِرُ قَمْعَاتِ ؟  
بِالْقُشْرِ الْمُنْتَاكِ ، بِالْقُشْرِ الْقَاتِلِ ، بِالذُّعْرِ ، بِالْأَمَى ، بِالشُّكَاكِ  
كُلُّهَا سَدَّتْ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا      كَيْفَ لَا يَطْفِئُ الْبَرْدِي مَشْكَاثِي ؟ !

طاهر زمخشري - جدة

(١) أي بِنَاتِ أَفْكَارِي



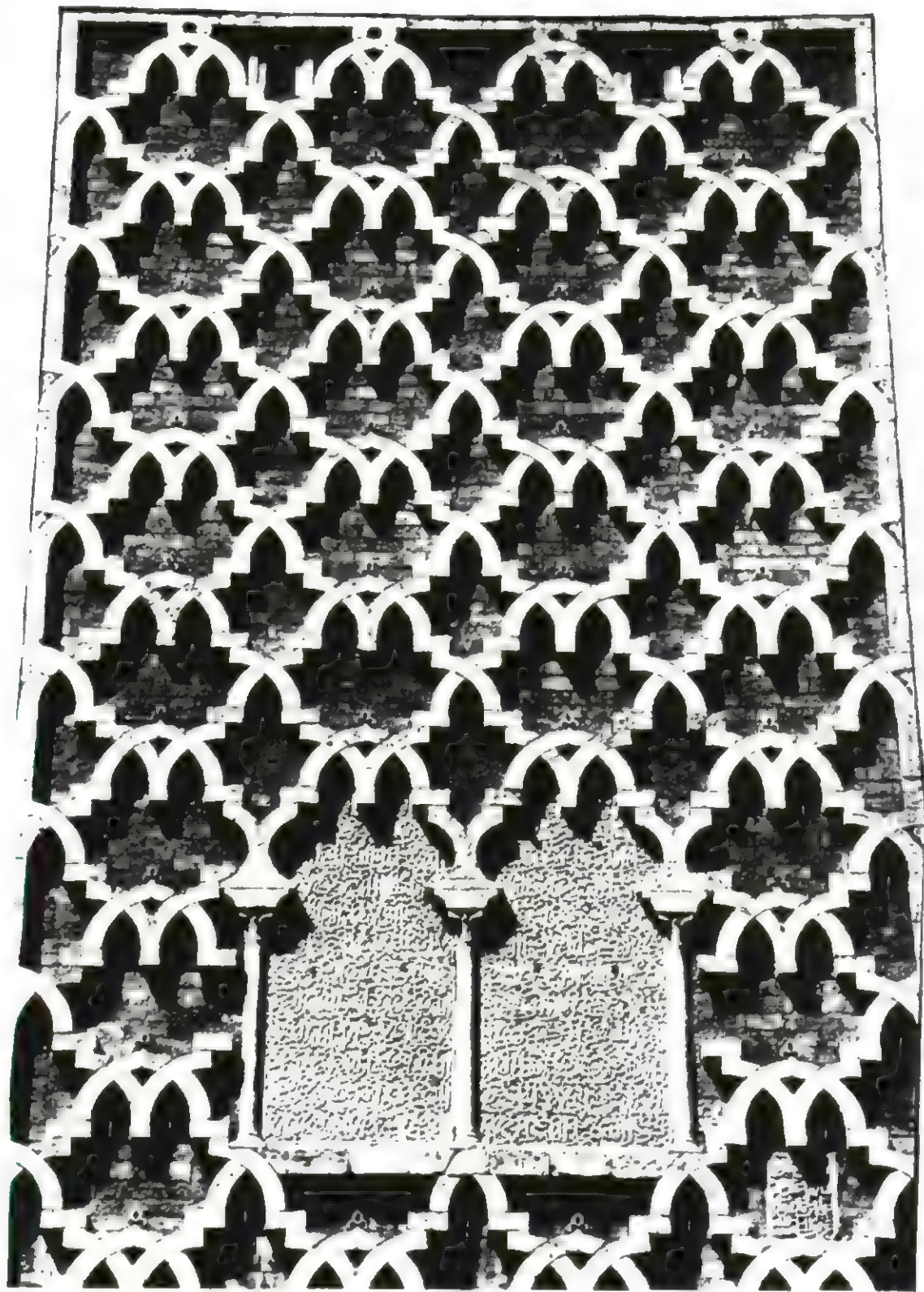




# الزيتون

بقلم: الدكتور نقولا زيادة

جديد د ع مایو ٤٧



# امع الزی تونہ فہ ن ونہ

بقلم: الدكتور نقولا زیادة





الرواق الغربي في جامع الزيتونة ، وقد ازدادت واجهته بالعقود القنطرية ذات الأعمدة الرخامية .

## القسم

القديم من تونس الحاضرة ، وهو المعروف هناك باسم « المدينة » ، يمكن اجتيازها من الشرق الى الغرب في نصف ساعة ، ويحتاج المرء الى الانتقال من شماله الى جنوبه الى ساعة واحدة . على أنني لا أعرف في دنيا العرب ، باستثناء القدس ، مدينة تضم في مثل هذه الرقعة الصغيرة من تاريخ العرب والاسلام عمارة وحضارة وثقافة وصناعة ما تضمه تونس . ان التاريخ العربي الاسلامي يتمثل فيها بشكل عامودي من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) الى القرن الماضي . فمجوامعها ومساجدها ومدارسها وقبابها ودورها وسبلها وحوالياتها تضع أمام ناظرينا صورة واضحة الخطوط بينة المعالم للتأثير الحضاري العربي الاسلامي .

ورغبة منا في أن يكون حديثنا عن الآثار الاسلامية في مدينة تونس مبنيا على أساس واضح ، فاننا نسمح للقارئ الكريم العذر ان نحن سمحنا لأنفسنا أن نضع أمامه لمحة مختصرة للعصور التاريخية الاسلامية المختلفة التي عرفتها تونس . وهذه يمكن اجمالها فيما يلي :

• عصر الولاة ٢٧ - ١٨٤ (٦٤٧ - ٨٠٠ م) وهو العصر الممتد من بدء الفتح على يد عقبة بن نافع الى أوائل عهد الدولة العباسية . في هذا العصر تم بناء القيروان وتأسيس دار الصناعة في تونس وبناء جامع الزيتونة وتدوين الدواوين وجعل العربية اللغة الرسمية للدولة .

• عصر الأغالبة ١٨٤ - ٢٩٨ (٨٠٠ - ٩٠٩ م) كانت دولة الأغالبة ، التي أنشأها ابراهيم بن الأغلب تتمتع باستقلال داخلي

تحت راية الخلافة العباسية . وفي أيام زيادة الله تم فتح صقلية سنة ٢١٢ (٨٢٧ م) ، ومالطة سنة ٢٥٥ (٨٦٨ م) . وكانت أيام الأغالبة أيام ازدهار وثراء بالنسبة الى تونس .

• الدولة الفاطمية في تونس ٢٩٨ - ٣٦٢ (٩٠٩ - ٩٧٣ م) ، في هذه الفترة من عهد الفاطميين احتلت « كورسيكا » و « سردينيا » . وقد خلف الفاطميين هناك ، بعد انتقامهم الى مصر ، الصنهاجيون .

• الدولة الصنهاجية ٣٦٢ - ٥٤٣ (٩٧٣ - ١١٤٨ م) ، لما انتقل المعز الفاطمي الى مصر استخلف « ابن زيري » على تونس ، فاستبعد هذا بالأمر وأسس هذه الدولة التي كان من كبار رجالها باديس بن المنصور وابنه المعز . وقد كان زمن الصنهاجيين عصرا بلغت فيه تونس شأوا عظيما في التمدن الاسلامي ، ولم يكدر صفو الحياة في تونس في تلك الفترة سوى الزحقة الهلالية ٤٤٠ - ٤٤٣ (١٠٤٨ - ١٠٥١ م) ، التي دمرت معالم كثيرة في تونس . وخاصة القيروان .

• دولة الموحدين ٥٥٥ - ٦٢٦ (١١٥٩ - ١٢٢٨ م) ، أدخل عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين في المغرب تونس في نطاق ملكه الواسع . ومنذ ذلك الوقت أصبحت تونس حاضرة القطر . وفي سنة ٦٠٣ هـ تولى عبد الواحد أبو حفص أمر تونس نيابة عن الموحدين ، فكان هذا بدء العهد الجديد .

• الدولة الحفصية ٦٢٦ - ٩٨١ (١٢٢٨ - ١٥٧٤ م) . في تلك السنة قطع أبو زكريا الخطبة للموحدين وأعلنها لنفسه . وظلت تونس على ذلك الى أن دخلها الأتراك العثمانيون . وعصر

بني حفص هو العصر الذهبي لتونس في الاقتصاد والأدب والعلم والبناء .

• العصر التركي المباشر ٩٨١ - ١١١٧ (١٥٧٤ - ١٧٠٥ م) والفترة الأولى منه تعرف بعصر الدايات ثم ، اعتبارا من سنة ١٠٤١ (١٦٣٢ م) ، عرف العصر بزمان البايات . وهذا استمر الى سنة ١١١٧ (١٧٠٥ م) لما قامت الأسرة الحسينية التي استمرت الى سنة ١٩٥٧ م .

## لبنات

الآن الى زيارة للمدينة البحر ، الواقع في شرق المدينة . وحري بالذكر أن أسوار تونس قد هدمت بعد الاستقلال ، ولم يبق قائما منها سوى الأبواب . وباب البحر هذا يعود في أصله الى أيام الأغالبة في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وقد أدخلت عليه تحسينات كثيرة واصلاحات متعددة جعلته على شكله الحالي . وبعد الباب هذا نجوز ساحة صغيرة ثم ندخل نهج (شارع) جامع الزيتونة . وبهذه المناسبة فشوارع المدينة جمعاء ضيقة ، ولا تدخل فيها السيارات قط . وهذا شارع يحتفظ بالحوانيث التي تعرض فيها منتجات الصناعة اليدوية التونسية ، شأن جميع شوارع تونس القديمة . وهذه الأسواق أكثرها تتوسط المدينة وتدور بجامع الزيتونة أو تكون قريبة منه . وينتهي بنا السير الى شارع جامع الزيتونة الذي يوازي الجدار الشرقي للجامع الزيتوني الكبير ، ثم الى سوق العطارين الواقع شمال الجامع ، وهو « حفصي » الانشاء ويعود تاريخه الى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) .

يقود الى غرفة المنبر ، والآخر هو باب الخطيب . وبقية الابواب موزعة على الجدران كما يلي : ثلاثة في الغرب ، وثلاثة في الشمال ، وخمسة في الشرق ، احدها مسدود . وهذه الابواب تؤدي الى الاسواق المختلفة .

الزاوية الجنوبية من جامع الزيتونة ترتفع **بمسافة** مثذنته (صومعته) المربعة الجميلة . وحري بالذكر ان هذه المثذنة لم تصف الا في سنة ١٣١٢ هـ ( ١٨٩٤ م ) على طراز مثذنة القصبة . ولنتذكر ان الجوامع الاولى التي بنيت في المغرب كانت دون مآذن - باستثناء جامع القيروان - وذلك اتباعاً للسنّة النبوية ، اذ ان المسجد النبوي في المدينة لم يكن له مثذنة .

و « جامع الزيتونة » بصحنه ومصلاه واروقته وعقوده واقواسه ومحاربه ومنبره وقبته وابوابه واعمدته ، يمثل عمل ستة قرون على الأقل . . . فقد بناه اول من بناءه ، حسان بن النعمان اثر فتحه تونس سنة ٨٠ هـ ( ٦٩٩ م ) . وكان البناء بسيطاً ، القصد منه ان تيسر للناس اقامة الصلاة فيه . ولكن عبدالله بن الحبحاب ، القائد الأموي ، اعاد بناء سنة ١١٦ هـ ( ٧٣٤ م ) . ولما جاء الأغالة الى الحكم في ولاية افريقية ( تونس ) وانصرفوا الى البناء وال عمران وال فن ، كان للزيتونة من جهدهم نصيب . وقد بدىء بهذا البناء زمن ابي ابراهيم احمد ، وتم العمل في عهد اخيه زياد الله ، وكان ذلك سنة ٢٥٠ هـ ( ٨٦٤ م ) والخليفة العباسي المستعين . والنقش الكوفي الذي يشير الى ذلك ، هذا نصه :

« لقد اتبحت لي اخيراً فرصة دراسة تيجان السواري ( الأعمدة ) عن كتب ، فتيّنت سرعة تطورها ، اذ ان جميع السواري التي تعلو قبتي مسجد الزيتونة اسلامية نحتاً وشكلاً ، ويظهر فيها مدى الابتكار الذي تولدت عنه جميع هذه التيجان عبر عن زهرة « الأكائنا » . ولكن النحات التونسي وضع وريقات هذه الزهرة على تيجانه بحيث تقف عند النقط الأساسية من جسد التاج في وسطه واطرافه ، ومع هذا فقد تنوعت اشكال هذه الزهرة الواحدة ، فتارة يكون التاج من صف واحد من الورقات وتارة من صفين . وبالرغم من تقارب اشكال الورقات واقتصارها على ثلاث ، فان التنوع ظاهر في امتدادها او تقافها وفي انتعاشها وشموخها . . هذا الشكل من التيجان الذي نشأ في القيروان ونما في الزيتونة تطور تطوراً شمل بلاد المغرب والأندلس . »

والقبتان فيهما من الزخرف الكثير . والمحراب قوسه على شكل حذاء الفرس الدائري ، وهو شكل الأقواس جمعاء في جامع الزيتونة . والزخرف الجبسي ظاهر في كل من القبتين ، كما ان الكتابة الكوفية واضحة . والمنبر خشبي يحتفظ به في غرفة خاصة ، وينقل على عجلات للاستعمال . والمنبر « اغلي » الصنع كما يتضح من النظر الى نقش اخشابه بدقه .

وللجامع ثلاثة عشر باباً ، اثنان منها في الجدار القبلي ، فالواقع منهما الى يمين المحراب

ويكون دخولنا الى جامع الزيتونة من الباب الشرقي ، متسلقين لذلك بضع درجات ، فاذا اجتزنا الباب والرواق الذي يليه اتجهنا نحو الصحن . وقفنا في الصحن مواجهين بيت الصلاة أو المسجد ، والجدار القبلي يقع في اتجاه جنوبي شرقي . وهذا القسم يتكون من خمسة عشر رواقاً يفصل بينها أربعة عشر عقداً . وطول بيت الصلاة أربعة وخمسون متراً ، وعرضه ستة وعشرون متراً . والعقود فيه متعامدة على جدار القبلة ، إلا أنها لا تتصل به ، اذ تظل فسحة عرضها أربعة أمتار قائمة بينها وبين الجدار . واذا توسطت الصحن ، وكان موقفك مقابلاً للمحراب وللرواق الاوسط في بيت الصلاة ، لاحظت ثلاثة اشياء : اولاً ان هذا الرواق اعلى واسع من الاروقة الباقية عن يمينه وعن شماله . وثانياً ان المحراب تقوم قبله قبة لطيفة . وثالثاً ان قبة اخرى تكون مقابلة لك ، وهي قبة البهو .

**والعقود** القائمة عليها المسجد ترتكز على اعمدة ، وهي في غالبيتها اعمدة من رخام ابيض . اما صفا الأعمدة الموجودان في الرواق الاوسط فهما من الرخام الاحمر . وثمة مجموعتان من الأعمدة ترتكز على احدهما القبة القائمة امام المحراب ، وترتكز العقود الامامية من الرواق الاوسط على الاخرى ، وهذه الأعمدة رخامية لكنها مختلفة الألوان . ولعله من الخير ان ننقل هنا بعض ما قاله « احمد فكري » عن هذه الأعمدة وزخارفها :



باب البحر الواقع شرقي مدينة تونس ، وهو يفضي الى الشارع المؤدي الى جامع الزيتونة .



خارطة تمثل موقع جامع الزيتونة في تونس وأقسامه الرئيسية .





أحد أروقة جامع القصبة الأثري في مدينة تونس ، وقد ازدان بالأعمدة الرخوية ذات الطابع الإسلامي الجميل .



مئذنة جامع الزيتونة ، المربعة الشكل ، وقد شيدت على غرار مئذنة جامع القصبة ، ويرجع تزيين بنائها الى عام ٨١٣١٢ .



جانب من سوق تجارية تتوسط مدينة تونس وتحيط بجامع الزيتونة .



نموذج للحرف اليدوية المألوفة في مدينة تونس والواقعة حول جامع الزيتونة الأثري .



الجزء العلوي من مئذنة جامع يوسف داي ، وقد تحلت بسمت العمارة الاسلامية البديعة ذات الزخارف الجميلة .

نتناول جميع هذه الآثار . لذلك فأننا سنكتفي بالإشارة إلى بعض منها . وفي مقدمتها جامع « القصبة » . والقصبة هي القلعة الرئيسية ، ودار الحكم ، ومسكن الأمير . وجامعها كان موضع رعاية الذين بنوه . والقصبة التونسية « حفصية » المنشأ بشكل خاص . وجامعها بناه أبو زكريا سنة ٦٣٣ هـ ( ١٢٣٦ م ) ، وكان من قبل يسمى جامع « الموحدين » . والاعمدة التي استعملت حملت إليه من ابنة قديمة . ومئذنة جامع القصبة هي أول المآذن ذات الهندسة الموحدية في تونس ، وقد أصبحت فيما بعد مثلاً يتبع . ومئذنة جامع الزيتونة القائمة الآن بنيت على نمط مئذنة جامع القصبة . والاعمدة التي ترتكز عليها عقود المسجد

هي الاعمدة الرخامية الجميلة التي جيء بها من الابنية القديمة . ومن المساجد الجميلة جامع « يوسف داي » الذي بني في مطلع القرن الحادي عشر الهجري ( السابع عشر الميلادي ) ومن اجمل ما فيه مئذنته المزركشة .

ومنها جامع « حمودة باشا المرادي » من القرن الحادي عشر الهجري ( السابع عشر الميلادي ) ايضاً . ومحاربه والاعمدة المحيطة به والزخرف القائم فوق المحراب من اجمل ما يمكن ان يرى .

وفي المدينة عدد من الدور الكبيرة الأنيقة . وفي مقدمتها دار « الباي » وهي من بناء المراديين في الربع الأول من القرن الحادي عشر الهجري

« بسم الله الرحمن الرحيم » مما امر بعمله الامام المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي طلب ثواب الله ومراضاته على يدي نصير مولاة سنة خمسين ومئتين - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله - صنعته فتح البنا . « وكان ان عُمر الجامع وزخرف على يد ابي زكريا الحفصي . وقد انتهى العمل من ذلك في شعبان سنة ٦٧٦ هـ ( يناير ١٢٧٨ م ) .

ومن احسن ما في جامع الزيتونة بالنسبة إلى دارسي تاريخه هو كثرة النقوش على الحجارة التي تشير إلى بناء او تجديد او توسيع او زخرفة . وقد ذكر منها احمد فكري خمسة عشر نقشاً كان آخرها ذلك الذي اشرنا اليه بالنسبة إلى بناء المئذنة . وثمة امر اخر حري بالتذكر وهو ان جامع الزيتونة يعاصر جامع القيروان - في القرون الأولى - خطوة خطوة ، وخاصة في العهد الاغربي ، الا ان جامع القيروان اوسع . وثالث ما يستحق الذكر هو ان جامع الزيتونة بني اصلاً بيت صلاة وصحنا دون اروقة جانبية ( او محببات كما تسمى في تونس ) . والواقع ان الجوامع الثلاثة الكبيرة الأولى في المغرب الاسلامي بنيت على هذا النحو : جامع قرطبة ١٧٠ هـ ( ٧٨٦ - ٧٨٧ م ) والقيروان ٢٢١ هـ ( ٨٣٦ م ) والزيتونة ٢٥٠ هـ ( ٨٦٤ م ) .

مدينة تونس غنية بالآثار الاسلامية على ما ذكرنا . ولسنا نطمع في هذه المقالة ، ان

( السابع عشر الميلادي ) وقد بنيت على غرار القصور الاندلسية ، وهي الآن قصر الحكومة . كان جامع الزيتونة يضم بين جدرانه تاريخ ستة قرون من فن المعمار والزخرف ، فان هذا الصرح يمثل تاريخاً أطول من ذلك بكثير للحياة العلمية في مدينة تونس . فقد اخرج حسن حسني عبد الوهاب ان تداول التعليم بالزيتونة يرجع إلى اوائل القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) ، وان أول من سمع منه هناك كان زيد بن بشر الأزدي . على اننا لا نستطيع ان نتصور تونس ، وجامع الزيتونة فيها ، دون قراء ومحدثين وعلماء حتى قبل ذلك . صحيح ان القيروان نالها من شرف خدمة العلم الشيء الكثير في القرون الاسلامية الأربعة الأولى ، لكن لا بد انه كان في الزيتونة من يقرئ الناس ويفسر لهم ويحدثهم ويروي لهم الادب والتاريخ ويشرح لهم شؤون اللغة واساليب البلاغة .

ويجب ان نذكر ان الاغلبية انشأوا معهداً للترجمة والبحث سموه « بيت الحكمة » على نحو ما كان للعباسيين في بغداد . ولعل معنى هذا ان الجوامع كانت تقتصر على العلوم الدينية ،



حانوت خاص ببيع انواع اعطور . مختلفة ونوع ضمن لأسواق التي توسط مساهمات وجمعية جامع الزيتونة





سناعة الأطباق النحاسية ذات النقوش الجميلة من الصناعات  
ليدوية المنتشرة وسط مدينة تونس حول جامع الزيتونة .

ونقده . يُضاف الى ذلك كله نشوء المدرسة  
الطبية التونسية في تونس باشراف اطباء من  
« آل الصقلي » .

وحري بالذكر ان الاهتمام بالموسوعات في  
هذه الفترة لم يقتصر على تونس ، فقد عرف  
المشرق أيضاً موسوعات كبيرة مثل : صبح  
الاعشى للقلقشندي ، ونهاية الأرب للنويري ،  
ومسالك الابصار لابن فضل الله العمري ،  
فضلاً عن كتب التاريخ الكبرى : كالنجوم  
الزاهرة ، والسلوك ، ومؤلفات السيوطي الكثيرة .  
ونحن لو اتجهنا الى ايران واواسط آسيه لوجدنا  
أيضاً موسوعات كثيرة . . ومثل ذلك يقال عن  
المغرب . ذلك بأن الفترة الممتدة من القرن  
السابع الهجري ( الثالث عشر الميلادي )  
الى القرن العاشر الهجري ( السادس عشر  
الميلادي ) تمثل ، بالنسبة الى الحضارة العربية  
الاسلامية ، زمن الجمع والتصنيف والتدوين  
والتحليل لتنتاج الفكر العربي الاسلامي .  
واواخر العهد الحفصي كان القطر

## وصف

التونسي يعاني مشاكل سياسية واقتصادية  
كثيرة ويتعرض لهجمات اوروبية . وقد جاء  
احتلال الاتراك لتونس سنة ٨٩٨١ ( ١٥٧٤ م )  
فوضع حداً للمطامع الأوروبية . وفي سنة  
١١١٧ هـ ( ١٧٠٥ م ) قامت الاسرة الحسنية  
في تونس . ونحن اذا اخذنا زمن الولاة العثمانيين  
والحكام المراديين وجدنا ان ثلاثة امور هامة  
اثيرت في الحياة العلمية في تونس بشكل خاص .  
ولعل جامع الزيتونة كان له في ذلك نصيب  
كبير . وأول هذه الأمور هو ازدياد الهجرة  
الاندلسية الى تونس ، والثاني رحلة عدد كبير  
من الطلاب التونسيين الى المشرق ،  
والامر الثالث انتاج طربي وفقهي كبير . ولعله  
من المناسب ان نذكر هنا انه على اثر الاحتلال  
التركي حاول الاتراك ادخال الترقية كلغة تعليم  
بالزيتونة ، وترجيح كفة المذهب الحنفي على  
المذهب المالكي ، ولكن المحاولة لم تنجح  
وانتهى الامر بجامع الزيتونة ان يعود سيرته  
الأولى ، فيظل المركز الأول للتعليم . وبلفت  
نظرنا « عثمان الكعاك » الى الفروق في الدور  
العلمي الذي قام به جامع الزيتونة بين ايام  
الحفصيين وبين العصر الحسني الأول الذي  
يمتد من سنة ١١١٧ - ١٢٣٠ هـ ( ١٧٠٥ -  
١٨١٥ م ) ، وبجمل هذه الفروق فيما يلي :  
اولاً : كان التعليم الزيتوني الحفصي يشمل  
التعليم الاسلامي الادبي والديني والفلسفة والعلوم

العقلية عامة ، والطب والفلك والحساب خصوصاً  
اما في العصر الحسني فقد نقصت هذه العلوم  
العقلية ، ولم يبق منها الا الميقات وشيء من الطب .  
ثانياً ، يبدو ان التعليم الحفصي كان يقوم  
على الكتب التونسية اصلاً . فكما كان الفقه  
في عهد الأغالية يعتمد على مدونة « سحنون » ،  
وفي عهد الفاطميين كان يرتكز على كتاب  
دعائم الاسلام ، فقد اعتمد العهد الحفصي  
على الرسالة لابن ابي زيد والشرح التي وضعها  
لها علماء من تونس . اما في العصر الحسني  
فقد كان الكثيرون من الاساتذة بالزيتونة قد  
درسوا في مصر ، فكان من الطبيعي ان يزودوا  
انفسهم بكتب الفقه المصرية . ومثل هذا يقال  
في المواد الادبية .

ثالثاً ، ان التعليم الزيتوني على العهد  
الحسني الذي انقص منه التعليم الرياضي قويت  
فيه النواحي الاخرى من دينية وادبية وفرضية  
وميقانية وزاد التعمق فيها .  
اذا كان جامع الزيتونة هو الذي أخرج  
للقطر التونسي عدداً كبيراً من المتعلمين فلا  
شك ان دور الزيتوني في المجتمع التونسي  
كان كبيراً . وقد حدد عثمان الكعاك هذا  
الدور بقوله :

« الزيتوني هو قبل كل شيء « عدل » القرية ،  
والعدل هو مبرم العقود اي العارف بأنواع  
الالتزامات من بيع وكراء ، وقروض وانكحة .  
فهو أعرف الناس بالمجتمع وألصق الناس به .  
واطلاعه على الأسرار واضطلاعاه بحل المشاكل  
يجعلان له مقاماً مرموقاً فيه هيبه ورغبة ورهبة .  
ثم هو امام القرية والمدرس بالجامع وكاتب  
الرسائل الخاصة والمرشد والواعظ والمفتي في  
القضايا ، ثم هو أديب القرية وشاعرها وعالمها .  
فالطبقة المثقفة السميكة التي تغمر البلاد هي  
طبقة العدول والحضارة حضارة عدول . وهذه  
الطبقة السميكة وسط بين طبقة علماء الزيتونة  
من اعل ، وطبقة الطلبة من اسفل . هذا هو  
جهاز البلاد الثقافي المتولد من الكتاب والزواوية  
والمدرسة والجامع ، قاعدة هرمه الكتاب وقمة  
الهرم هي جامع الزيتونة المعمور . »

واخيراً ، لنذكر ان جامع الزيتونة نقلت اليه  
مكتبة « ابن زكريا الحفصي » ، وكان بها اربعون  
ألف مخطوط ، ثم زيد في ذلك من مكتبات  
اخرى خاصة ، وعامة في ايام بني حفص ،  
ثم في القرن الماضي على ايدي احمد باي ،  
والصادق باي ، والوزير المصلح خير الدين ■  
نقولاً زيادة - يروت

بينما كانت الحكمة ، والطب ، والفلك ،  
والجغرافية ، والرياضيات ، من الأمور التي  
يُعى بها « بيت الحكمة » وما اليه . الا ان الامر  
اختلف مع توالي الزمن ، وخاصة في عهد  
الحفصيين ، اي بدءاً من القرن السابع الهجري  
( الثالث عشر الميلادي ) ، ففي هذا الوقت  
رحل عدد كبير من اهل العلم في الاندلس  
الى تونس ، واستقر التعليم العالي في جامع  
الزيتونة بتونس . ولعل اهم من ذلك كله ان  
مواد التعليم ضمت الى بعضها البعض ،  
واصبح جامع الزيتونة مقرها ومستقرها . فكان  
يدرس فيه الدين ، والطب ، والهندسة ،  
والحساب ، وما الى ذلك . ولعله ليس من قبيل  
المصادفة ان ينتج العصر الحفصي عدداً كبيراً  
من الموسوعات ، فالى هذه الفترة يعود تاريخ  
ابن خلدون ومقدمته ، ولسان العرب لابن  
منظور ، وسرور النفس للثفاشي ، وهو  
موسوعة كاملة في ممالك الطبيعة الثلاث :  
الجماد ، والنبات ، والحيوان . ولم يكن حظ  
الادب بأقل من ذلك فقد ألف حازم القرطاجني  
كتاباً سماه المناهج الادبية يمكن اعتباره جماع  
ما يمكن ان يتحدث عنه في اساليب الادب



# عَبَّ الْبَيَّاتِ

للشاعر الأستاذ الياس قنصل

لا تمدحوني ان نظمت قصيدة  
ان المديح بقل نفسي موهباً  
ويشدها نحو الثرى وهي التي  
بل طالعوا ما بين اسطرها ، فقد  
في كل بيت قطعة من مهجة  
لا تخفقوا حريتي بقلائد  
ان ليس لي فضل اذا خلعت على  
من قسمتي عبء البيان وكشف ما  
روحي الى ماس الحياة مشوقة  
بدلت رفد سعادتي بعواطف  
فتمتعوا عني بكل ملذة  
ودعوا فؤادي نائهاً في حيرة  
كم ليلة راض الوجوم سكونها  
سامرتها ويراعني لا ترتضي  
لا تمدحوني واتركوا لي نهزة  
فاصوغ آلاء القريض عواطراً  
أنالاً أزال مقيداً بسلاسل  
مهما نظمت فلست أروي غللة  
صوري خطوطاً ما تنق لونها  
لم تلتقط اذ ناي حتى الآن ممن

مهما استوى الابداع في أبياتها  
فيها الطموح ، محمداً رمياتها  
رادت رحاب الأفق في ولباتها  
فاضت معانيها على كلماتها  
جرحت تباريح الأسمى خلجاتها  
بطلقو بريق الآل من حباتها  
شعري عرائس عبقير نفحاتها  
تخفي الطريق لتأمنوا عثراتها  
وعيونكم مشدوهة بحصاتها  
غيري الذي يجني سخي هباتها  
سمحت بها الأقدار قبل فواتها  
تخشي قلوب الجن صحراواتها  
وانساب همس الوهم في جنباتها  
حبراً سوى دمعي لبث شكاتها  
اسمو عن التقليد في برهاتها  
عذراء يزهو الحسن في فقراتها  
الناس والأيام من حلقاتها  
في النفس للتعبير عن رغباتها  
يدو اضطراب الضعف من هفواتها  
شدو الحياة سوى صدى نغماتها

الياس قنصل - الأرجنتين





في سنة ١٩٨٥م حضر وفد من جامعة الكويت الى الكويت لزيارة كلية الهندسة والعلوم  
والتكنولوجيا. أثناء جولته تفقدت المعامل الحديثة في الكلية.  
قال: «وراء الجامعة السعودية في التنمية الصناعية والاقتصادية»



القصبة الدائرية في تونس - جامع عقاب : جامع الزيتونة  
تصوير : فهد بن عبد الله

